إعجاز القرآن

القسم في القرآن الكريم

تأليف

الدكتور حسين نصار

عميد كلية الآداب - جامعة القاهرة سابقًا

الطبعة الأولى

١٤٢١هـ - ٢٠٠١م

النــاشر

مكتبة الثقافة الدينية

٥٢٦ ش بورسعيد - الظاهر

ت: ٥٩٢٢٦٢٠ - فاكس: ٥٩٣٦٢٧٧

حقوق الطبع والنشر محفوظة للناشر
مكتبة الثقافة الدينية



مقدمة

اتفق المسلمون على « إعجاز القرآن » ، ثم ذهبوا مذاهب شتى فى «وجوه الإعجاز» حتى قاربت المئة ، بل ذهب بعضهم إلى أنها لا يمكن حصرها وأنها متجددة بتجدد الأيام ، إلى أن تفنى الأرض ومن عليها .

والكتاب الذى بين يدى القارئ يتناول واحدا من هذه الوجوه، ألا وهو ما تضمنه القرآن من «أقسام» عدها بعض المفكرين وجها للإعجاز. وهو يسعى إلى رصد تفكير من كتبوا باللغة العربية عن الأقسام، منذ مبدئه إلى اليوم ، مبينا ما طرأ على مجرى هذا التفكير من مد أو جزر ، ومن استقامة أو ميل ؛ ومن تجدد أو تجمد، أى يسعى إلى أن يصنع تاريخا شاملا ودقيقا للتفكير العربى الذى دار حول الأقسام فى القرآن .

وقد أدى هذا إلى ترتيب فصول الكتاب وجزئياته وتعلقياته ترتيبا تاريخيا . فقدمت الفصول والجزئيات الأقدم، وأعقبها ماتلاها فى الوجود. بل طبق هذا على أقسام التعليقات . فقد قسمت التعليقات إلى قسم يضم المصادر التى ورد فيها

القول بنصه منسوبا إلى صاحبه، وهى التى افتتح بها التعليق ؛ وإلى قسم وردت فيه الأقوال بالمعنى أو الإشارة ، ووضع بعد الفعلل (انظر) الذى وردت الأقوال بعده عـــلى الحكايـــة ، أى دون أن تطـــبق عليها قواعد النحو ؛ وإلى قسم ثالث أورد الأقوال دون أن يعزوها إلى أصحابها .

وكـــان الأساس فى الترتيب التاريخى للمصادر القديمة سنى وفيات مؤلفيها ، مـــع العـــلم باحتمال وجود أخطاء ، لأن المتعاصرين قد يسبق إلى التأليف المتأخر وفاة. ولكن لا نملك تواريخ محددة لسنى تأليف الكتب القديمة إلا فى النادر.

أمـــا فى المصادر الحديثة فكانت سنة إصدار الطبعة الأولى هى الأساس، وإن كـــنت فى بعض الأحيان لم أجد سبيلا إلى الوصول إليها ، فاضطررت إلى الاعتماد على طبعة تالية .

الجيزة فى ٤ رمضان ١٤٢١

٣٠ نوفمبر ٢٠٠٠

حسين نصار

الفصـــــل الأول

المقسـم بــه

مـــنذ عهد الصحابة ، جذبت أقسام القرآن الأنظار ، بسبب كثرتها وغرابتها وخروجها عن المعتاد.

وكـــان مـــن أقدم ما أثار انتباههم وعجبهم الإقســـــــام بغير الله. فقد نهى الـــنبى ﷺ المسلمين عن الحلف بغيره فى قـــــوله : « من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت[1] ».

وقـــد قـــنع جمهور المسلمين الأولين ـــ فى تصورى ـــ بتسليم الأمر فى هذه الأقســــــام إلى الله ، ذلك الموقف الذى عبر عنه عامر بن شـــــراحيل الشعبى (١٩ ـــ ١٠٣/ ٦٤٠ ـــ ٧٢١) وغيره ـــ فيما بعد ـــ بالقول : الخالق يقسم بما شاء من خلقه ، والمخلوق لا ينبغى له أن يقسم إلا بالخالق[2] .

---

(١) القـــرطبى ٦ / ٧١ . ابن القيم ١/ ٥٧ . الشوكانى ٣/ ١٤٠ . المنار ٧/ ٤٠ . الفراهى ٤ . القاضـــى ٨٥ . رضـــا ١٦٧ . إسماعيل ٣٦٦ . وانظر القطان ٣٠٣ . أمين ٢٤٠ . شحاتة ٢٧٣ .

(٢) ابن كثير ٤ / ٢٦٣ .

ونســـبه إلى الحسن بن يسار البصرى (٢١ ـــ ١١٠ / ٤٦٢ ـــ ٧٢٨) معترك ١/ ٤٥١ . الإتقـــان ٢/١٧٠ . الشـــوكانى ٣/ ١٤٠ ، ٥/٤٤٥ . القطان ٣٠٣ . القاضى ٨٥ . المدخل ١/٥٠٤ . العمرى ٢٤٦ . قمحاوى ٣/ ٢٤ . رضا ١٦٧ .

وإلى محمـــد بن على الباقر (٥٧ ـــ ١١٤ / ٦٧٦ ـــ ٧٣٢) وابنه جعفر (٨٠ ـــ ١٤٨/ ٦٩٩ ـــ ٧٦٥) : الطوسى ٩/ ٣٧٧ ، ١٠/ ٢٥١ . الطبرسى ٢٧ / ٧ ، ٢٢/٣٠ . =

وإذا تتبعنا هذه الأقسام ، وجدنا فيها الأضرب التاليـــة :

أ ـ الحروف المفـــــردة

تكشـــف النصوص التى تجمعت لدىّ أن أول ما أثار الانتباه ظاهرة بدء عدد مـــن السور بحروف مفردة، عدها كثير من العلماء أقساما ، كما نرى فى قول عبد العظـــيم بن عبد الواحد المعروف بابن أبى الإصبع (٥٩٥ ــ ٦٥٤ / ١١٩٨ ــ ١٢٥٦) : تـــبين أن الحـــروف المقـــطعة أقسام ، وذلك لمطابقة الفواتح المفتتحة بالأقسام لها فى معانيها [1].

وقد أعطانا فخر الدين محمد بن عمر الرازى (٥٤٤ ــ ٦٠٦ / ١١٥٠ ــ ١٢١٠) إحصـــائيتين تتعلقان بهذه الحروف وغيرها من الأقسام. كشف فى الأولى مـــنهما عـــن مواضـــعها فى المصـــحف، فذكر أن القسم بالحروف وقع فى نصفى المصـــحف جميعـــا، بل فى كل سُبع. أما بالأشياء المعدودة فلم يوجد إلا فى النصف الأخـــير بـــل لم يوجد إلا فى السبع الأخير، غير قَسم واحد هو " والصافات " . وعـــلل ذلك بأن القسم بالحروف لم ينفك عن ذكر القرآن أو الكتاب أو التتزيل

= وأورده غير منسوب : الطبرى ١١/١٩ . الطوسى ٤٤١/٨ ، ٩/ ٣٩٩، ٤١٨، ٥٠٦، ٣١٢/١٠ . الطبرسى ٢٣ / ٤٨ . القرطبى ٦١/١٦ .

الشوكانى ٣/ ١٤٠ ، ٥/ ٤٥٥ . الآلوسى ٢٣ / ٦٧ . الآلوسى لعبد الحميد ٢٤٧ ــ ٨ . أمين ٢٤٠ . شحاتة ٢٧٣ . دفتردار ٢٨٢ . إسماعيل ٣٦٦ .

(1) الخواطـــــــــر ١١٠ .

بعده إلا نادرا . ولما كان جميع القرآن معجزة مؤداة بالحروف ، وجد ذلك عاما فى جميع المواضع ، ولا كذلك القسم بالأشياء المعدودة [1].

وكشـــف فى الـــثانية أن الله أقســـم بالحروف فى أول ثمان وعشرين سورة ، وبالأشياء التى عددها عدد الحروف فى أربع عشرة سورة ، لأن القسم بالأمور غير الحـــروف وقع فى أوائل السور وفى أثنائها، والقسم بالحروف لم يوجد ولم يحسن إلا فى أوائـــل الســـور، لأن ذكر ما لا يفهم معناه فى أثناء الكلام المنظوم المفهوم يخلّ بالفهم. ولما كان القسم بالأشياء له موضعان، والقسم بالحروف له موضع واحد ، جعل القسم بالأشياء فى أوائل السور على نصف القسم بالحروف فى أوائلها [2].

ولمـــا كـــنت قد أعطيت الحروف المقتطعة كتابا مستقلا ، فإننى أكتفى بهذه الإشارة المبتسرة ، إعلاما بمكانها هنا .

ب ـ ما اتصل بمحمد

١ ـ عمره

وكـــان مـــن أقدم ما أثار الانتباه ، وأدى إلى اختلاف كثير ، القسم فى الآية ٧٢ مـــن ســـورة الحجر ، الذى ورد فى أثناء سرد أخبار لوط ــ عليه السلام ــ ويقـــول : ﴿ لَعَمْـــرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ بسبب إيمان العلماء بأن القسم يدل على الإعزاز.

وكـــان من أول من تصدى لتفسير الآية عبد الله بن عباس (٣ ق٠هـــ٠ ــ ٦٨/ ٦١٩ ــ ٦٨٧) الـــذى رأى أن هذا القسم هو بحياة النبى ﷺ وعقب على

[1] مفاتيح ٢٨ / ١٢٧ .

[2] مفاتيح ٢٨/ ١٢٧ .

ذلك قائلا : ما خلق الله ، وما ذرأ ، وما برأ نفسا أكرم عليه من محمد ﷺ. وما سمعت الله أقسم بحياة أحد غيره [1].

ولكن أبا نصر عبد الرحيم بن عبد الكريم القشيرى (٥١٤/١١٢٠) أعلن فى تفسيره : يحتمل أن يقال : يرجع ذلك إلى قوم لوط ، أى كانوا فى سكرتهم يعمهون. وقيل : لما وعظ لوط قومه وقال : هؤلاء بناتى، قالت الملائكة : يالوط : لعمرك إنهم فى سكرتهم يعمهون . ولا يدرون ما يحل بهم صباحا [2].

ورجَح هذا الاحتمال لدى جار الله محمود بن عمر الزمخشرى (٤٦٧–٥٣٨/ ١٠٧٥ – ١١٤٤) ففسر به الآية . ثم أعقب هذا التفسير بقوله : وقيل: الخطاب لرسول الله ﷺ وإنه أقسم بحياته [3].

واستبعد عبد الحق بن غالب المعروف بابن عطية (٤٨١ – ٥٤٢/ ١٠٨٨– ١١٤٤) تفسير ابن عباس، لأنه يقطع القسم مما قبله وما بعده من السياق[4] .

---

(١) الطبرى ٣٠/١٤ . البغوى ٣/ ٣٨٧ . الطبرسى ٣٧/١٤ . أبو حيان ٥/ ٤٦٢ . ابن كثير ٢/ ٦٠١ . معترك ١/ ٤٥١ . الإتقان ٢/ ١٧٠ . الآلوسى ١٤/ ٧٢ . القاضى ٨٦ . المدخل ١/ ٥٠٤ . قمحاوى ٣/ ٢٤ . العمرى ٢٤٦ . رضا ١٦٨ . إسماعيل ٣٦٥ . واقتصر على الشق الثانى من القول منسوبا إلى ابن عباس : ابن عطية ٣٣٨/٨ . الرازى ١٦١/١٩ . ومنسوبا إلى أبي الجوزاء أوس بن عبد الله الربعى (٨٣/ ٧٠٢) : القرطبى ١٠/ ٣٩. الشوكانى ٣/ ١٤٠ . وإلى الرجلين معا : أبو حيان ٥/ ٤٦٢ . وغير منسوب : الزمخشرى ٢/ ٥٨٦ . الشوكانى ٣/ ١٤٠ .

ووافق على أن القسم بحياة محمد : الزركشى ٣/ ٤٢ . حسين ٤٥ . بدوى ١٧٠ . الآلوسى لعبد الحميد ٢٤٦ . شحاتة ٢٨٠ . خليف ٩٦ . إسماعيل ٣٦٤ – ٥ .

(٢) القرطبى ٤٠/١٠ . وذكر أن القسم قد يكون بحياة لوط : الزمخشرى ٢/ ٥٨٥ . الرازى ١٦١/١٩. أبو حيان ٥/ ٤٦٢ . الآلوسى ١٤/ ٧٢ .

(٣) الكشاف ٢/ ٥٨٥ – ٦ . الشوكانى ٣/ ١٤٠ .

(٤) أبو حيان ٥/ ٤٦٢ .

وعلى الرغم من أن القاضى أبا بكر محمد بن عبد الله المعروف بابـــن العربى (٤٦٨ــ٥٤٣ / ١٠٧٦ ــ ١١٤٨) قــال : قال المفسرون بأجمعهم : أقسم الله هاهنا بحياة محمد ﷺ فإنه لم يمنع التفسير الآخر ، وصرح : ما الذى يمنع أن يقسم الله بحياة لوط ، ويبلغ به من التشريف ما شاء ، وكل ما يعطيه الله للوط من فضل، يؤتـــى ضـــعفية من شرف لمحمد ﷺ لأنه أكرم على الله منه ؟ أو لا ترى أنه ــ سبحانه ــ أعطى إبراهيم الخلة، وموسى التكليم ، وأعطى ذلك لمحمد ؟ فإذا أقسم بحياة لوط فحياة محمد أرفع . ولا يُخرَج من كلام إلى كلام لم يجر له ذكر [١] .

واستحســن محمد بن أحمد القرطبى (٦٧١/١٢٧٣) قول ابن العربى ، لأنه رأى أن تفسير ابن عباس يجعل القسم بحياة محمد كلاما معترضا فى قصة لوط [٢].

ورفــض شــهاب الدين محمود بن عبد الله الآلوسى (١٢١٧ــ ١٢٧٠/ ١٨٠٢ ــ ١٨٥٤) ما رواه الزمخشرى ، لأنه ــ فى رأيه ، مع مخالفته للمأثور ــ محتاج لتقدير القول ، أى قالت الملائكة للوط. وهو خلاف الأصل، وإن كان سياق القصـــة شاهدا وقرينة عليه . فلا يرد عليه ما قاله صاحب الفرائد من أنه تقدير من غـــير ضرورة. ولو ارتكب مثله ، لأمكن إخراج كل نص عن معناه بتقدير شىء ، فيرتفع الوثوق بما فى النص [٣] .

وأعــلن د. يوســف خليف أن القسم بالنبى ﷺ ورد فى موضع واحد، هو ســورة الحجر[٤] ، وهو ما اتفق عليه جمهور المفسرين . وانفرد الزمخشرى بالقول بأنه قسم بحياة لوط .

---

(١) القرطبى ١٠/ ٣٩ ــ ٤٠ . الشوكانى ٣/ ١٤٠ .

(٢) الجامع ١٠ / ٤٠ . الشوكانى ٣/ ١٤٠ .

(٣) روح ١٤ / ٧٢ .

(٤) دراسات ٩٨ . وأتى به غير منسوب : إسماعيل ٣٦٥ .

وقد ذهب بعض المفسرين إلى أن القسم بالرسول ـــ ص ـــ ورد فى موضعين آخرين، فى أول سورتى طه ويس ، وكلتاهما مكية . ولكن أكثر المفسرين على أن طه ويس من الحروف المقطعة التى افتتحت بها بعض السور[1] .

وقـــد رأينا ابن عباس يعلل القسم بحياة محمد بأنه لا يوجد من هو أكرم على الله منه .

وذهـــب الزمخشرى إلى أن الإقسام بحياة النبى كرامة له [2]. وعده ابن عطية تشريفا [3]، والرازى تكريما[4] ، والقرطبى نهاية التعظيم، وغاية البر والتشريف[5]، وابن كثير تشريفا عظيما، ومقاما رفيعا، وجاها عريضا[6] .

وعلل الزركشى هذا القسم بتعريف الناس عظمته عند الله ومكانته لديه[7]، ود. أحمد أحمد بدوى بتشريف حياة الرسول، وتعظيم أمره فى عيون السامعين[8] .

---

(1) دراسات ٩٨ .

(2) الكشاف ٢/ ٥٨٦ . الشوكانى ٣/ ١٤٠ . وأتى به دون نسبة : العمرى ٢٤٦ .

(3) المحرر ٨/ ٣٣٨ . وانظر القرطبى ١٠/ ٣٩ . ابن كثير ٢/ ٦٠١ . الشوكانى ٣/ ١٤٠ .

(4) مفاتيح ١٩/ ١٦١ . الرازى لعبد الحميد ٢٥٣ ـــ ٤ . وانظر أبو حيان ٥/ ٤٦٢ .

(5) الجامع ١٠ / ٣٩ .

(6) التفسير ٢/ ٦٠١ .

(7) الـــبرهان ٣/ ٤٢ . وأتى به منسوبا إلى بعض العلماء : معترك ١/ ٤٥١ . الإتقان ٢/ ١٧٠ . حمـــودة ٢٣ . القاضى ٨٥ ـــ ٦ . شحاتة ٢٨٠ . المدخل ١/ ٥٠٤ . قمحاوى ٣/ ٢٤ . وأهمل نسبته الآلوسى لعبد الحميد ٢٤٦ .

(8) من بلاغة ١٧٠ .

وتبين لنا هذه الجولة أن العلماء انقسموا فريقين : جمهور رأى أن القسم بحياة محمـــد، وأقلية رجحت أن يكون القسم بحياة لوط، وأن د. يوسف خليف لم يوفق حين صرح بأن الزمخشرى انفرد بالرأى الأخير.

وتـــبين أن من ذهبوا إلى أن القسم بحياة محمد إنما عز عليهم أن يوهب لوط شـــرف الإقسام بحياته دون محمد، وأنهم تغاضوا عن سياق الآيات، بدعوى وقوع التفات فيها. وغفلوا عن أن تكريم أحد الأنبياء لا ينتقص من مكانة بقيتهم.

وتـــبين أن مـــن ذهبوا هذا المذهب، أفاضوا فى الحديث عما يسبغه عليه هذا القســـم من شرف، وبخاصة قول الزركشى الذى أشاعه السيوطى، فرددته الكتب بعـــده ؛ عـــلى حـــين عنى أصحاب الرأى الآخر بالدفاع عنه، وكادوا يهملون التشريف.

كذلك لم يوفق د. يوسف خليف فى القول بأن أكثر المفسرين يرون أن طه ويـــس مجـــرد حروف مقتطعة . ويمكن للقارئ أن يعرف المزيد عن هذه الحروف بالرجوع إلى كتابنا عنها .

والـــتفت الطوسى إلى القسم برب محمد فى قوله تعالى : ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ﴾ [١]ودلالته ، فقال : فى ذلك تشريف للنبى ﷺ [٢]. وتنبيه على عظم منزلته عنده [٣].

وأيده الزمخشرى فذكر أن فى إقسام الله باسمه ــ تقدست أسماؤه ــ مضافا إلى رســـول الله ﷺ تفخـــيما لشأن رسول الله [٤]، ورفعا منه [٥]، كما رفع من شأن السماء والأرض فى قوله : ﴿ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ ﴾ [٦].

وصـــرح صاحب تفسير المنار : أقسم الله بربوبيته لرسوله، مخاطبا له فى ذلك خطاب التكريم . ومن المعهود فى اللغة أن مثل هذا القسم يعد تكريما [٧].

---

(١) سورة مريم ٦٨ .
(٢) التبيان ١٤ / ٣٥٥ . وأتى به دون نسبة : الطبرسى ١٤/ ٤٥ .
(٣) التبيان ١٤ /٣٥٥ . وأتى به دون نسبة : الطبرسى ١٤ / ٤٥ .
(٤) الكشاف ٣/ ٣٣ . وأتى به دون نسبة : الرازى ٢١ / ٢٠٦ . الآلوسى ١٦/ ١١٨ . وانظر أبو حيان ٣/ ٢٨٤ .
(٥) مثـــــله .
(٦) سورة الذاريات ٢٣ .
(٧) ٥ / ٢٣٦ .

وصـــرح محمـــد بـــن أبى بكر المعروف بابن قيم الجوزية (٦٩١ ــ ٧٥١/ ١٢٩٢ ــ ١٣٥٠) : أمـــر الله نـــبيه أن يقســـم به على الجزاء والمعاد فى ثلاث آيـــات. فقال فى الآية الثالثة والخمسين من سورة يونس : ﴿وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُـــلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ ﴾ وفى الآية الثالثة من سبأ : ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لاَ تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ ﴾ وفى الآية السابعة من التغابن : ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ﴾ [1]. وأضاف عماد الدين أبو الفدا إسماعيل بن عمـــر المعـــروف بابن كثير (٧٠١ ــ ٧٧٤ / ١٣٠٢ ــ ١٣٧٣) أنهن آيات ثلاث لا رابعة لهن [2] .

٣ ـ محمد وحياته وخيله

وقـــال ابن العربى : أقسم الله بمحمد فقال : ﴿يس وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾ وأقسم بحياته فقال : ﴿لَعَمْرُكَ ....﴾ وأقسم بخيله وصهيلها وغبارها وقدح حوافرها النار من الحجر فقال : ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ....﴾ الآيات الخمس[3] .

٤ ـ زمانه ومكانه وعمره

وقال الرازى تعليقا على القسم فى سورة العصر: أقسم تعالى بزمان ﴿عصر﴾ محمد فى هذه الآية ، وبمكانه فى سورة البلد ، وبعمره فى قوله : ﴿لَعَمْرُكَ ....﴾[4].

(١) التبيان ١/ ٥٢ ، ٦٤ . وانظر ابن كثير ٥٤٨/٣ ، ٤ / ٣٩٧ . إسماعيل ٥٦٤ ــ ٥ .

(٢) التفسير ٣ / ٥٤٨ .

(٣) القرطبى ٢٠ / ١٥٤ .

(٤) مفاتيـــح ٣٢ / ٨٢ .

ج - الأشـــــياء

١ - لذاتهـــــا

ومـــن أقـــدم ما تعرض له العلماء أيضا محاولة تبرير الإقسام بالأشياء، تلك المحاولة التى أثمرت لنا ثروة من الأقوال التى لا تزال تتزايد إلى اليوم .

نقـــــل الفضل بن الحسن الطبرسى (٥٤٨ / ١١٥٣) عن مجاهد بن جبر (٢١ ـــ ١٠٤/ ٦٤٢ ـــ ٧٢٢) ومحمـــد بن السائب الكلبى (١٤٦ / ٧٦٣) أن الله أقســـم بالطور لما أودع فيه من أنواع نعمه [١]. واتفق معه شهاب الدين محمود ابـــن عبد الله الآلوسى (١٢١٧ ـــ ١٨٠٢/١٢٧٠ ـــ ١٨٥٤) الذى علق على القسم بالعصر قائلا: كأنه ـــ تعالى ـــ يذكر بالقسم به ما فيه من النعم وأضدادها، لتنـــبيه الإنسان المستعد للخسران والسعادة [٢] . وقال طنطاوى جوهرى : أقسم بأشياء عدَّدها ، وصنوفا من نعم أبدعها، كالشمس والقمر والكواكب [٣] .

ونقل الطبرى أن قتادة بن دعامة السدوسى (٦١ ـــ ٦٨٠/١١٨ ـــ ٧٣٦) كان يذهب إلى أن الله أقسم بها لعظم شأنها عنده [٤] .

---

(١) مجمع ٢٦/٢٧ . وانظر الآلوسى ٢٩٢/٣٠ . عبده ٩٨ . موسى ١٢٦ . إسماعيل ٣٧٠ .

(٢) روح ٣٠ / ٢٩٢ . وانظر موسى ١٢٦ .

(٣) التــــــاج ٩٦ ـــ ٧ .

(٤) جامع ٣٠ / ١٣٩ .

وجعل أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسى (٣٨٥ – ٤٦٠/٩٩٥ – ١٠٦٧) العظمة مبدأ عاما فقال : القسم بالشيء تنبيه أو دليل على عظم شأنه [١]. ومن ثم علل عدة أقسام بما فى المقسم به من عظم الشأن أو جلالته [٢] .

ورد الزمخشرى عظمة بعض ما أقسم الله به إلى أمرين :

- دلالتـــــــه [٣] .
- منفعتـــــه [٤] .

قـــال : أقسم بالقلم تعظيما له ، لما فى خَلْقه وتسويته من الدلالة على الحكمة العظيمة، ولما فيه من المنافع والفوائد التى لا يحيط بها الوصف [٥] .

وعاد الطبرسى إلى المبدأ العام، فأعطانا صياغة أخرى له ، قال فيها : فى القسم تعظيم للمقسم به [٦] .

---

(١) التـــبيان ١٠/ ٢٥١ ، ٣٥٦، ٣٩٦ . وانظـــر الزمخشرى ٣/٣٣، ١٥٧/٢٩. الطبرسى ٢٢/٣٠، ١٥١. القـــرطبى ١٤٣/١٥ . ابن القيم ١/٤٥، ٢٢٩ . أبو حيـــان ٣٨٤/٨. ابن كثير ٤/ ٣١٨ . النيسابورى ٨٥/٣٠ . معترك ٤٥٣/١ . الإتقان ١٧٠/٢. الشوكانى ٤/ ٥ . عـــبده ١٣، ١٤ ، ١٦، ٦٦ ، ٦٨، ٨٢ ، ٩١، ٩٨، ٩٩ . جوهـــرى ٨٤ . الفـــراهى ٩، ١١ – ٢ . حســـين ٤٥ . الآلوســـى لعبد الحميد ٢٤٨ . شحاتة ٢٨١ . قمحاوى ٣/ ٢٦ .

(٢) التـــبيان ٣٧٧/٩ ، ١٠ /٢٥١ ، ٣٥٦ ، ٣٩٦ . وانظر الرازى ١٠٥/٣١ – ٦، ١١٥، ٨١/٣٢ . ابن القيم ٥٧/١ ، ٨٦ – ٧ ، ٨٩ . الشوكانى ٢٦٥/٥ .الآلوسى ١١٠/٣٠، ١٢١ . موسى ١٢٥ . المدخل ١/ ٥٠٥ . رضا ١٦٧ . إسماعيل ٣٧٠ .

(٣) الكشاف ٥٦٧/٣ ، ٤/ ٥٨٤ . وانظر الطبرسى ٢٣ / ٤٨ . رضا ١٦٧ .

(٤) الكشاف ٤/ ٥٨٤ . وانظر الآلوسى لعبد الحميد ٢٤٧ .

(٥) الكشاف ٤/ ٥٨٤ .

(٦) مجمع ٢٣ / ٤٨ . وانظر الآلوسى لعبد الحميد ٢٤٨ .

وتعـــدى ذلك إلى الربط بين العظمة والاعتبار ، فقال : يقسم بخلقه للتنبيه على موضع العبرة فيه، لأن القسم يدل على عظم شأن المقسم به [1] .

وعـــلل بـــدر الديـــن محمد بن عبد الله الزركشى (٧٤٥ــ٧٩٤/ ١٣٤٤ــ ١٣٩٢) الاقســـام بها بأن العرب كانت تعظمها وتقسم بها، فنزل القرآن على ما يعرفون [2].

وأتى جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى (٨٤٩ــ٩١١/١٤٤٥ــ ١٥٠٥) بصيغة ثالثة للمبدأ العام ، قصر فيها المقسم به على المعظمات، فقال : لا يكون القسم إلا باسم معظم [3] .

وجـــاء د.عبد الله محمود شحاتة بقول مطلق صرح فيه بأن العلماء والمفسرين ذهبوا إلى أن الله أقسم بمخلوقاته لبيان نواحى العظمة فيها وجلال قدرها [4].

ونقـــــــــل د.فؤاد على رضا قولين بينهما شيء من البعد . قال فى أولهـــما : إن الله ــ عـــندما يقســـم بمخـــلوقاته ــ فإنما يقصد بقسمه رفعة شأنها ومكانتها، وإعـــلاء قدرهـــا وقدر خَلْقها على النحو الذى هى عليه، للدلالة بها على مطـــلق قدرته [5] .

وصـــرح فى الثانى بأن القرآن أبان أن عظمة هذه المخلوقات ليست فيها بذاتها، ولا بما حوته ، وإنما بمن صنعها وألزمها ناموسه [قانونه] لا تخرج عنه [6] .

---

(١) مجمع

(٢) البرهان ٣/ ٤١ . وأتى به غير منسوب : معترك ١/ ٤٥١ . الإتقان ٢/ ١٧٠ . رضا ١٦٧.

(٣) معترك ١/ ٤٥٠ . الإتقان ٢/ ١٧٠ . القاضى ٨٤ . وانظر جوهرى ٨٤ . أمين ٢٣٩ .

(٤) علوم ٢٨١ .

(٥) من علوم ١٦٧ .

(٦) نفســــــــه .

ويتصل بالتعظيم كلمات أخرى ، قد يعبر بها عنه ، نتتبعها فيما يلي :

نقـــل القرطبي عن محمد بن السائب الكلبي (١٤٦ / ٧٦٣) أن الله أقسم بها لشرفها وفضلها[١] .

وذكر الزمخشري أن المراد بالأقسام في سورة التين : الإبانة عن شرفها[٢] .

وخشـــي الرازي ألا يظهر شرف بعض هذه الأشياء، فقال ذات مرة : اعلم أن الإشكال هو أن التين والزيتون ليسا من الأمور الشريفة، فكيف يليق أن يقسم الله بهما ؟ وأطال في الجواب في إبانة خواص هذه الثمار والمواضع إلى أن خلص إلى أن المراد من القسم ــ في الحقيقة ــ تعظيم الأنبياء وإعلاء درجاتهم [٣].

وجعل القرطبي الأمر مبـــــدأ عاما ، فصرح : إذا أقسم الرب بشيء أثبت له شرفا [٤].

وروى القـــرطبي عن الكلبي أن الله أقســـم بها لفضلها [٥]. وذكر أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري في " كنز اليواقيت " : القسم بالشيء لا يخرج عن وجهتين :

---

(١) الجامع ١/ ١٥٦ .
وانظـــر الزمخشري ٤/ ٧٤٤. الرازي ٢٨/ ١٦٦ ــ ٧، ٣١/ ١٤٨ ، ١٧٦ . القرطبي ١٧/ ٣٠ ، ٢٠ /٨١ . أبو حيان ٨/ ٣٧٨ ، ٤٤٧ . ابن القيم ١/ ٢٢٩ . النيسابوري ٨٣/٣٠، ٨٥ ، ١٥٩ . الشوكاني ٤٠٥/٤ ، ٩٤/٥ . جوهري ٩٧ . الفراهي ٩ .

(٢) الكشاف ٤/ ٧٧٤ .

(٣) مفاتيح ٣٢ / ٩ . الفراهي ٩ .

(٤) الجامع ١٧ / ٣٠ .

(٥) الجامع ١/ ١٥٦ . الآلوسي ٣٠ / ٢٩١ .
وانظـــر الزمخشري ٤/ ٧٩٣ . الطبرسي ٣٠/ ١٧٨ . ابن الجـــــوزي ١٦٩/٩ . الرازي ٣١/ ١٤٨ ، ١٦٣ ، ١٨٩ ، ٦١/٣٢ . القرطبي ٢٢٣/١٧ . أبو حيـــان ٨/ ٥٠٩ . =

إما لفضيلته كقوله : ﴿ وَطُورِ سِينِينَ * وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ ﴾ [1] .

أو لمنفعـــة كقوله : ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴾ [2].

وجعل القرطبى القسم تنبيها على الفضل [3] . وأتى محمد بن على الشـــوكانى (١١٧٣ـــ١٢٥٠ / ١٧٦٠ ـــ ١٨٣٤) بالأمر فى صورة قاعدة عامة ، فقال : ما من شىء أقسم الله به إلا وفى ذلك دلالة على فضله على جنسه [4] .

وعـــلل الطوســـى الإقسام بهذه الأشياء مرة بعظم النفع أو الفائدة فيها [5] ، وهداية النفوس إلى تدبير مصالحها[6] ؛ وأخرى بالتنبيه على كثرة الانتفاع بها[7] .

= ابـــن القيم ٨٧/١ . الزركشى ٤٢/٣ . معترك ٤٥٢/١ . الإتقان ١٧٠/٢ . الشـــوكانى ٥/ ٢٦٥ . الآلوسى ٢٦/٢٧ . حسين ٤٦ .

(١) سورة التين ٢، ٣ .

(٢) سورة التين ١ . الزركشى ٣/ ٤٢ . معترك ١/ ٤٥١ ـــ ٢ . الإتقان ٢/ ١٧٠ .

(٣) الجامع ١٧ / ٢٢٣ .

(٤) فتـــــح ٣/ ١٤٠ .

(٥) التبيان ٩ / ٣٧٧ ، ٥٠٦ ، ٣٥٦/١٠ .

وانظـــــر الطبرسى ٢٧/ ٧، ٢٦، ٢٢/٢٩ ، ١٥١/٣٠، ١٧٨ . ابن الجوزى ١٢٦/٩ . الـــرازى ١٤٧/٣١، ١٧١ ، ٣٢ /٦١ . الزركشـــى ٣/ ٤٢ . معـــترك ١/ ٤٥١ ـــ ٢ . الإتقان ١٧٠/٢ . النيسابورى ٣/ ٨٣ . جوهرى ٩٦ . إسماعيل ٣٦٤ .

(٦) التبيان ٩ / ٣٧٧ .

وانظر الرازى ٣١ / ١٧٢ .

(٧) التبيان ١٠ / ٣٥٦ .

وانظر الطبرسى ٢٧/ ٧، ٢٦ . ١٥١/٣٠ ، ١٧٨ . ابـــــــــــن الجوزى ١٢٦/٩ . عبده ١٤ ، ٥٩ ، ٩٩ ، ١٢٣ .

وسبق أن رأينا القشيرى والزمخشرى يجعلان مجرد المنفعة أحد علىٍ الإقسام بها[1] .

وقال الرازى : اعلم أنه — تعالى — ينبه عباده دائما بأن يذكر فى القسم أنواع مخلوقاته المتضمنة للمنافع العظيمة ، حتى يتأمل المكلف فيها ، ويشكر عليها [2].

وعللها أكثر من مرة بما فيها من منافع الدنيا والدين [3]. ثم شرح هذه المنافع ووضعها فى قاعدة عامة ، نصها : اعلم أن هذه الأشياء التى أقسم الله بها لابد أن يكون فيها إما فائدة دينية مثل كونها دلائل باهرة على التوحيد، أو فائدة دنيوية توجب بعثا على الشكر أو مجموعهما [4] .

وذهب القرطبى إلى أن القسم بهذه الأشياء تكرمة لها [5] .

وأتى د . محمد محمد أبو شهبة بالأمر فى صورة قاعدة عامة ، فقال : قد يكون القسم لمنزلته وإظهار كرامته عند الله [6].

وقال ابن القيم : قال جماعة من المفسرين : أقسم الله بالتين والزيتون لمكان العزة فيهما [7] .

---

(1) الزركشى ٣/ ٤٢. معترك ١/ ٤٥١ — ٢ . الإتقان ٩/١٧٠ . وانظر عبده ١٣ ، ١٠٠ .

(2) مفاتيح ٣١ / ١٧١ . الفراهى ٨، ٤٣ .

(3) مفاتيح ٣١ / ١٤٧ ، ٣٢ / ٦١ .
وانظر النيسابورى ٣٠ / ٨٣ .

(4) مفاتيح ٣١ / ١٤٧ .

(5) الجامع ٢٠ / ٨١ . وانظر الشوكانى ٥/ ٩٤ . أبو شهبة ٢٤٨ .

(6) المدخل ٢٤٨ .

(7) التبيان ١/ ١١١ . أمين ٢٤١ . وانظر جوهرى ٩٧ .

وقال طنطاوى جوهرى : أقسم الله بهذه الأشياء إذ رأى نوع الإنسان يقسم بما عز عليه [١] .

وخرج عن هذا المجرى العام اثنان ، دافع كل منهما عن رأيه دفاعا مستفيضا ، وهما المعلم عبد الحميد الفراهى والدكتورة عائشة عبد الرحمن .

أما الفراهى فقد جاهر فى مقدمة كتابه بأنه ألفه من أجل ثلاثة مقاصد، كان الأول منها إبطال الظن بأن القسم مشتمل على تعظيم المقسم به لا محالة ، ذلك الظن الباطل الذى صار حجابا على فهم أقسام القرآن، ومنشأ للشبهات [٢].

فأصل القسم ــ عنده ــ ليس فى شىء من التعظيم [٣]. واستدل على ذلك بما يلى :

- القسم لا يلزمه المقسم به فضلا عن تعظيمه [٤] .
- للقسم كلمات ليست فى شىء من تعظيم المقسم به [٥] .
- ربما أقسم القرآن بما ليس فيه شرف ، وما ليس من الجلالة بحيث يقسم بها خالقها، إن كان الإقسام بها لأجل شرفها[٦] .
- التعظيم من عوارض القسم [٧] .

---

(١) التاج ٩٧ .
(٢) إمعان ١٢ ــ ٤ ، ٢١ ، ١٢٨ ــ ٩ .
(٣) إمعان ١٣ ، ٢١ .
(٤) إمعان ٢٠ ، ٢١ .
(٥) إمعان ٢١ .
(٦) إمعان ٥ ، ٦ .
(٧) إمعان ٢٣ .

وكشف عن السبب فيما وصفه بالظن الباطل، فقال : وإذ كانت الشهادة بالله أكبر الشهادات، كثر القسم بها . ولذلك ظن من قل التفاته إلى أساليب الكلام وفنون بلاغته أن الإشهاد لا يكون إلا بالمعبود ، وعلى جهة التعظيم [1] .

وخلص إلى أن القسم نوعان متباينان :

- أقسام بصفات الله .
- وأقسام بالمخلوقات .

ولا يراد التعظيم من القسم إلا إذا كان بالله وشعائره . أما القسم بالمخلوقات فليس إلا لكونها آيات دالة [2] .

كما خلص إلى أن فى أسلوب القسم خصوصية تشبه ما فى بعض الأساليب الأخرى، كما نرى ــ مثلا ــ تأكيد الإثبات والإنكار بأسلوب الاستفهام أو التعجب ، فى أكثر الألسنة ، أو تأكيد التعجب بالنداء [3] .

وأعتقد أنه وقف هذا الموقف ، لأنه خلط بين التعظيم والتقديس والعبادة . نستنبط ذلك من قوله : المقسم به فى هذه الأقسام ــ وإن كان عند المتكلم كريما ومضنونا به ــ لكنه لا يكون مما يعبده ويقدسه ، وأمثال هذا القول [4].

---

(1) إمعان ٣٣ . أمين ٢٤١ .

(2) إمعان ١٣ ، ٢١ وانظر الرازى لعبد الحميد ٢٥٤ .

(3) إمعان ٢٥ ، ٣٣ .

(4) إمعان ٢٥ ، ٣٣ .

وأمـــا الدكـــتورة عائشة عبد الرحمن فقد أعلنت أن جمهرة المفسرين اتجهوا بالأقســـام إلى تعظـــيم المقسم به ثم مضوا يلتمسون وجه هذه العظمة . وأكثر ما ذكروه يدخل فى الحكمة ، وهى تختلف تماما عن العظمة . فما من شىء فى الكون خُلق عبثا . وكل ما خلقه الله ، خلقه لحكمة ظاهرة لنا أو خفية علينا . أما العظمة فـــلا يهون القول بها لمجرد لمح وجه لظاهر الحكمة فى المقسم به . ثم إنهم لم يراعوا القيـــد فى المقسم به . واضطربوا كذلك فى ربط القسم بهذه الواو بجواب قسمه . فـــأين الصلة بين عظمة العاديات ضبحا ، وبين كنود الإنسان لربه ، وبعثرة ما فى القبور ؟ [١].

وأخـــيرا خلصت إلى ما يشبه ما خلص إليه الفراهى . فقد صرحت : الذى اطمأنـــنت إليه ــ بعد طول التدبر للسياق ــ هو أن الواو فى هذا الأسلوب قد خرجت عن أصل معناها اللغوى الأول فى القسم للتعظيم ، إلى معنى بلاغى [٢] .

---

(١) الإعجـــاز ٤٢٦ ــ ٧ .

(٢) الإعجـــاز ٢٣٠ ، ٢٣٤ .

ورِوى أبـــو حيـــان عن قتادة قولا ثانيا ، صرح فيه بأنه ـــ سبحانه ـــ أقسم بالعصر ـــ كما أقسم بالضحى ـــ لما فيهما من دلائل القدرة [١].

ووجـــــــه من استحسن أبو عبد الله الحسين بن أحمد المعروف بابن خالويه (٣٧٠/ ٩٨٠) قـــوله الدلالة إلى وجود الله ، حين قال : أقسم بمصنوعاته لأنها تدل على بارئ صانع [٢] .

ووجهها الطوسى إلى عظمة الله ، فقال : إنما جاز أن يقسم بهذه الأشياء لأنها تنبئ عن تعظيمه بما فيها من القدرة الدالة على ربها [٣] .

---

(١) الـــبحر ٥٠٩/٨ . الآلوســـى ٣٠ / ٢٩٢ . وأتى به غير منسوب : الزمخشرى ٤/ ٧٩٤ . الـــــــــرازى ٢٨/ ١٦٧. ٨١/٣٢ . وانظر الطبرسى ٧/٢٧ . ابن الجوزى ٢٨/٨ . أبـــو حيان ٣٧٨/٨، ٤٥٤ . ابن القيم ١/ ٧٠ . ابن كثير ٢٥٥/٤. عبـــــــده ٣٤ . بدوى ١٧١ ـــ ٢ . الغمراوى ٢٣٣ . الكردانى ٣١ . دفتردار ٢٨٢ . المدخل ١/ ٥٠١ . رضا ١٦٧ . السامرائى ٥٦ . إسماعيل ٣٦٦ .

(٢) الزركشى ٣/ ٤٢ . وانظر ابن أبى الإصبع ١١١ . ابن القيم ٤٥/١، ٧٠ . معترك ٤٥١/١، ٤٥٣ . الإتقـــان ١٧٠/٢. الفـــراهى ١٠، ١٢ . موسى ١٢٥ ـــ ٦ . بـــدوى ١٧٠ . القطـــان ٣٠٢ . الآلوســـى لعـــبد الحميد ٢٤٦ . أبو شهبـــة ٢٤٧ . أمين ٢٤٠ ـــ ١ . القاضـــى ٨٥ . الغمـــراوى ٢٣٣ . شحاتة ٢٧٩ . المدخـــــــــــل ١/ ٥٠٣ . قمحاوى ٢٤/٣ ـــ ١٠٦ . العمرى ٢٤٦ . رضا ١٦٧ .

(٣) البيان ٨/ ٤٤١ . وانظر بدوى ١٧٢ . موسى ١٢٥ ـــ ٦ . أمين ٢٤٣ . الغمرواى ٢٣٣ . المدخل ١/ ٥٠١ . السامرائى ٥٦ .

وصـــرح الطبرسى مرة بأنه إنما جاز أن يقسم الله بها لما فيها من الدلالة على توحيده [١]، وصفاته العُلى[٢] ؛ ومرة لما تتضمنه من بدائع صنعه [٣] .

وأتـــى الرازى بقاعدة عامة قال فيها : الأيمان التى حلف الله بها كلها دلائل أخــرجها فى صورة الأيمان . مثاله قول القائل للمنعم عليه : وحق نعمك الكثيرة، إنى لا أزال أشــكرك . فيذكر النعم ــ وهى سبب مفيد لدوام الشكر ــ ويسلك مسلك القسم .

وتوهم من قد يسأل : فلِمَ أخرجها مخرج الأيمان ؟

وأجــاب : لأن المتكلم ــ إذا شرع فى أول كلامه بحلف ، يعلم السامع أنه يــريد أن يتكلم بكلام عظيم ، فيصغى إليه أكثر من أن يصغى إليه حيث يعلم أن الكلام ليس بمعتبر، فبدأ بالحلف ، وأدرج الدليل فى صورة اليمين ، حتى أقبل القوم على سماعه . فخرج لهم البرهان البين ، والتبيان المتين ، فى صورة اليمين [٤].

وصـــاغ عـــبد العظيم بن عبد الواحد المعروف بابن أبى الإصبع (٥٩٥ ــ ٦٥٤/ ١١٩٨ ــ ١٢٥٦) القول الذى استحسنه ابن خالويه فى عبارة شاعت فى الكتب بعده، قال : القسم بالمصنوعات يستلزم القسم بالصانع ، لأن ذكر المفعول يستلزم ذكر الفاعل، إذ يستحيل وجود مفعول بغير فاعل [٥].

---

(١) مجمع ٢٣ / ٤٨، ٧/٢٧ . وانظر الرازى ٣١ / ١٤٧ ، ١٥٠ . ابن القيم ١/ ٧٠ ، ٧٧ .

(٢) مجمع ٢٣ / ٤٨ . وانظر ابن القيم ١/ ٤٥ . دفتردار ٢٨٢ .

(٣) مجمع ٢٧ / ٧ . وانظر ابن الجوزى ٢٨/٨ . عبده ١٤، ٣٤ . أبو شهبة ٢٤٧ .

(٤) مفاتيح ٢٨ / ١٦٧ ــ الفراهى ٨ .

(٥) الخواطـــر ١١١ . معـــترك ٤٥١/١ ، ٤٥٣ . الإتقـــان ٢/ ١٧٠ . شحــــــاتة ٢٧٩ . قمحـــاوى ٢٤/٣ ــ ٦ . وانظـــر ابـــن القيم ٤٥/١ . الفراهى ١٢/١٠ . القطان ٣٠٢ . الآلوسى لعبد الحميد . القاضى ٨٥ . أمين ٢٤٠ ــ ١ . العمرى ٢٤٦ . رضا ١٦٧ .

وورد الطوسي أيضاً الإقسام بها إلى ما فيها من العبرة [1] ، أو للتنبيه على موضع العبرة فيها[2] ، أو لتعظيم ما فيها من العبرة [3]، والطبرسي إلى أن فيها أعظم عبرة [4]، وأبو حيان إلى التعريض للاعتبار بها [5].

وأعلن الزمخشري أن الله أقسم بالتين والزيتون لأنهما عجيبان من بين أصناف الأشجار المثمرة [6].

وقال الطبرسي : أقسم بالقمر لما فيه من الآيات العجيبة في طلوعه وغروبه ومسيره وزيادته ونقصانه [7].

وذهب الرازي إلى أن الله أقسم بها لما فيها من حالة عجيبة، وأسرار عظيمة باهرة ، أو لما فيها من عجيب الصنعة، أو لما فيها من الآثار العجيبة [8].

---

(1) التبيان ٩/٣٧٧، ٥٠٦ ، ١٠ / ٢٥١ ، ٣٤١ ، ٣٥٦ ، ٣٦٢. وانظر الطبرسي ٣٠/٢٢، ١٧٨، ٢٢٦ . أبو حيان ٨/٤٤٧. إسماعيل ٣٦٣ ـ ٤ .

(2) التبيان ١٠/ ٢٥١ ، ٣٤١ ، ٣٦٢ . وانظر الطبرسي ٣٠ / ٢٢ . عبده ١٣ . الغمراوي ٢٣٣ . الكرداني ٣١ . إسماعيل ٣٦٣ ، ٣٧٠ .

(3) التبيان ٩/ ٣٧٧ . وانظر الطبرسي ٣٠ / ١٧٨ .

(4) مجمع ٣٠ / ١٧٨ .

(5) البحر ٨ / ٤٤٧ .

(6) الكشاف ٤/ ٧٧٣ ، ٧٩٤ . وانظر الطبرسي ٢٩/١١٦ . الرازي ٣١ / ٦٦، ١٠٤،٥ ، ١١٥ ، ١٥٠ . أبو حيان ٨/٣٧٨ .

(7) مجمع ٢٩ / ١١٦ . وانظر الرازي ٣١ / ١١٥ .

(8) مفاتيح ٣١ / ٦٦ ، ١٠٤ ، ١٥٠ .

وجعل أبو حيان القسم بها تنبيها على ما يظهر بها وفيها من عجائب الله[1] .

ورأى د. محمد محمد أبوشهبة أن القسم بهذه الأشياء تنبيه إلى ما تنطوى عليه من أسرار وعجائب نعم وآلاء . فيؤدى النظر فيها إلى الإيمان بخالقها وموجدها، والإذعان لما جاء به الرسول [2].

ويتصل بالعجائب والأسرار الدعوة إلى التأمل . ذكر الرازى أن الهدف أن يتأمل المكلَّف فيها ، لأن الذى يقسم الله به يحصل له وقع فى القلب، فتكون الدواعى إلى تأمله أقوى [3].

وقال د. محمد أحمد الغمراوى : إذا أقسم الله فى كتابه بالليل والصبح والضحى والنهار، أفلا يكون فى هذا أكبر داع لهم أن يتأملوها، ويتساءلوا: ماذا أودع الله فيها من مجالى حكمته ، ومظاهر عظمته وقدرته ، حتى استحقت أن يقسم لعباده بها، وهو خالقهم وخالقها [4]؟

وقال د. محمد بكر إسماعيل : فى طيات القسم مجالات رحبة للتأمل والنظر، ولطائف خفية يكتشفها المؤمن بنور بصيرته . فيزداد بها يقينا، يسمو به إلى مراتب العارفين بربهم [5].

---

(1) البحر ٨/ ٣٧٨ .

(2) المدخل ٢٤٧ .

(3) مفاتيح ٣١ / ١٧١ . وانظر حمودة ٢٣ . طنطاوى ٩٦ ــ ٨ . بدوى ١٧٠ . الغمراوى ٢٣٣. الكردانى ٣١ . دفتردار ٢٨٢ ــ ٣ . إسماعيل ٣٦٣ ، ٣٧٠ .

(4) الإسلام ٢٣٣ . الكردانى ٣١ .

(5) دراسات ٣٦٣ ، ٣٧٠ .

وقـــال أبو حيان : أقسم الله بالطارق لما علم فيه من لطيف الحكمة، وتنبيها على ذلك [1] .

وأضاف ابن القيم أن الله أقسم بصنعته لدلالتها على كمال علمه وحكمته[2] .

وخشـــى جماعـــة مـــن العلماء أن تعلق بالأقسام بعض الأوهام ، فبادروا إلى إنكارها.

قال محمد عبده ما خلاصته فى تفسير التين والزيتون : قد يرجح أنهما النوعان من الشجر. ولكن لا لفوائدهما كما ذكروا، بل لما يذكران به من الحوادث العظيمة الـــتى لهـــا الآثار الباقية فى أحوال البشر. قال صاحب هذا القول: إن الله أراد أن يذكّـــرنا بأربعة فصول من كتاب الإنسانية الطويل، من أول نشـــأته إلى يوم بعثة الـــنبى ﷺ فالتين إشارة إلى عهد الإنسان الأول ، فإنه كان يستظل فى تلك الجنة التى كان فيها بورق التين .

والزيـــتون إشـــارة إلى عهد نوح ، فقد أرسل بعض الطيور ، لعله يأتى بخبر انكشـــاف المـــاء عن الأرض، فغاب ولم يأت بخبر. ثم أرسل آخر، فجاء إليه يحمل ورقـــة مـــن الزيـــتون. فاستبشر وسر، وعرف أن غضب الله قد سكن، وقد أذن للأرض أن تعمر.

وطور سنين إشارة إلى عهد الشريعة الموسوية، وظهور نور التوحيد فى العالم ، بعد ما تدنست جوانب الأرض بالوثنية .

ثم لمـــا طـــال الأمد على البشرية حتى كادت أن تطمس معالم التوحيد والحق والشـــرائع، مَنّ الله على البشر ببداية تاريخ ينسخ جميع تلك التواريخ، ويفصل بين

---

[1] البحر ٨/ ٤٥٤ . وانظر عبده ٥٩ ، ٩٩ . العمراوى ٢٣٣ . الكردانى ٢٢ .

[2] التبيـــــــــان ١ / ٧٠ .

ما سبق من أطوار الإنسانية وبين ما يلحق ، وهو عهد ظهور النور المحمدى من مكة المكرمة. وإليه الإشارة بذكر البلد الأمين [١].

وقـــال طنطاوى جوهرى : لم يكن إقسام الله بهذه الأشياء لخوفه منها . فإنه الخالق، لن يهاب ما خلق ، ولن يحتاج لما ذرأ وأبدع .

ولم يُرد أن يعبدوها ، إذ لا إلاه إلا الله .

ولم يكن ذلك لتحريضهم على الحصول عليها وحوزها، فذلك مستحيل [٢].

وافتتح عبد الحميد الفراهى كتابه بإعلان أن المقصد الثانى منه إبانة أن أقسام القـــرآن بالمخلوقات ليست إلا آيات دالة [٣]، وأنه يعد ذلك أحسن الأقوال[٤] . وفى أثـــناء الكـــتاب أعلن أنه لم يطمئن لهذا الرأى إلا بعد أن تأمل فى جميع أقسام القرآن، ولم يدله عليه إلا القرآن نفسه من وجوه عدة [٥].

وتوهم أن يعارضه معارض قائلا : هب أن أصل القسم هو الإشهاد ، ولكنه لكـــثرة استعماله للتعظيم صار كالمنقول، وصار أصله كالمذهول عنه، فلا يصار إلى الأصل إلا بدليل واضح بيّن .

وأجـــاب : ســـلمنا ولكنا لم نذهب إلى هذا المعنى الخاص لأقسام القرآن إلا بدلالة القرآن من وجوه كثيرة ، دونك بيانها :

---

(١) تفسير جزء عم ١٢٣ . موسى ١٢٦ . أبو شهبة ٢٤٧ ــ ٨ . وانظر جوهرى ٩٧ .

(٢) التـــــاج ٩٧ .

(٣) إمعـــــان ١٣ .

(٤) نفســـــــه .

(٥) إمعـــــان ٤٦ .

الأول : ســنة القــرآن فى استعمال بعض الكلمات مرة لله وأخرى للعبد . وحينئذ يميز بين وجوهها حتى لا يكون مخالفا لجلالة ربنا ، مثل كلمة الصلاة : فإنها الرحمة من الله ، والدعاء من العبد .

الثانى : حمل النظير ، وتفسير الآيات ببعض . فإنك ترى القرآن يذكر الأمور الدالــة تــارة على أسلوب القسم بها ، وأخرى على أسلوب الآية والعبرة، وكلها إشهاد لمن يتفكر فيها [1].

الــثالث : دلالــة المقســم به نفسه . فالعاقل لا يتوهم أن الله يضع مخلوقاته موضع المعبود المقدس[2] .

الرابع : المناسبة الظاهرة بين المقسم به والمقسم عليه . فإن القرآن وضع أكثر هذه الأقسام بحيث لا تخفى على العاقل جهة دلالتها على ما أقسم عليه .

الخــامس : تعميم المقسم به على طريق تعميم الآيــــات الدالة ، كما قال : ﴿فَلاَ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ * وَمَا لاَ تُبْصِرُونَ﴾ [3] فلم يترك شيئا إلا وقد أقسم به، كما قال : ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ [4] فلم يترك شيئا إلا وقد أنطقه بحمــده وأشهده بمجده. ويشبه هذا التعميم استعمال المتقابلين ، حيث أقسم بالليل والنهار، والأرض والسماء. فكيف يظن أن الله عظّم كل شيء . والسبيل إلى جعله آية دالةً ظاهرٌ ، فلا يصار إلا إليه[5] ؟ .

---

(1) إمعــــان ٤١ ـــ ٢ .
(2) إمعــــان ٤٢ . أمين ٢٤٣ .
(3) ســورة الحاقة ٣٨ ـــ ٩ .
(4) ســورة الإســراء ٤٤ .
(5) إمعــــان ٤٣ .

السادس : ما يتبع المقسم به من التنبيه على كون المقسم به دليلا للعقلاء كما قـال : ﴿وَالْفَجْرِ * وَلَيَالٍ عَشْرٍ * وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ * وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ * هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ ﴾ (١) فهذه الجملة الأخيرة مثل ما تجد كثيرا فى القرآن بعد ذكر الدلائـل ، كما جاء فى الآية ٦٧ من سورة النحـل : ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (٢).

السـابع : ذكـر المقسم به على صفة خاصة تشير إلى جهة الاستدلال ، كقوله : ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى﴾ (٣) .

الـثامن : مـا يسـبق المقسم به من صريح ذكر الآيات الدالة ثم التعبير عن المقسـم بـه على وجه يشير إلى تلك الآيات، كأنه مهد — من قبل — لما أريد من وجه الاستدلال . ومثل لذلك بسورة الذاريات (٤).

ثم تساءل فقال : فإن سأل سائل : كيف خفى الصواب على العلماء أم كيف يطمئن القلب بهذا القول المبتدع ؟

وأجاب بما يلـي :

هذا المعنى للقسم ليس ببدع . بيد أنه خفى عليهم بعض وجوهه ومعانيه، فلم يتمسـكوا بـه كل التمسك: فإما تركوه فى بعض المواضع ، وإما خلطوا به معنى آخر.

ولنذكر هنا بعض أسباب الخفاء ليظهر عذرهم :

(١) سورة الفجر ١ — ٥ .

(٢) إمعان ٤٣ . أمين ٢٤٣ .

(٣) سورة النجم ١ .

(٤) إمعـان ٤١ — ٤ .

الأول : كـــون المقســـم به ــ فى بعض المواقع ــ نفسه شريفا، مثل القرآن والطـــور ومكـــة، فـــلم يحتاجوا إلى جعل الإقسام به استدلالا، وظنوا أن القسم بالشـــريف العظيم عام شائع. وإذا وجدوا المقسم به ذا احتمالات ، أخذوا منها ما يشبه بالشرف .

الثانى : كون الحكماء نُجْعتهم الأمور الكلية . فلا يعجبهم رأى ينخرم بعض جوانـــبه . ووجه الدلالة فى بعض الأقسام كان خفيا. فلما لم يتبين لهم، زعموا أن هـــذه الكـــلية لا تصـــح هاهنا. وبخاصة أنْ ليس من دأب أكثرهم الإقرار بالعجز وتحويل العلم إلى الله .

الـــثالث : لما وجد الأولون القسم بالله وشعائره شائعا، غلب على ظنهم أن ذلك هو الأصل. فإذا وجدوا القسم بغيره، جعلوه مجازا . ثم رأوا أن المجاز لا يصار إليه إلا إذا تعذرت الحقيقة. ولكن محض الكثرة ليس دليل الأصالة، ولا المصير إلى المجاز مشروطا بتعذر الحقيقة. بل الصواب أن تأخذ من المعانى ما هو أحسن وأحرى وأشبه بالسياق، وماله نظائر فى باقى السياق. فلما جعلوا الفرع أصلا، خفى عليهم حقيقة معنى القسم بالشىء.

الرابع : شهرة بعض أمور ــ ذات وجوه ــ على وجه خاص . فمهما كانت المناســـبة بـــين المقســـم بـــه والمقسم عليه منوطة ببعض هذه الوجوه، خفى وجه الاستدلال على من خفى عليه ذلك الوجه .

الخـــامس : انشغال علمائنا بالعلوم العقلية والنقلية المشهورة عن علوم أكبر مـــنها نفعـــا فى التفسير، أعنى علم لسان أُوحى به إلينا وإلى من قبلنا وتاريخ هذه الأمم السامية وعلومهم وآدابهم [1] .

---

[1] إمعـــــان ٤٥ ــ ٧ .

ووقــف الفراهى أمام السؤال الذى وقف أمامه الرازى وأجاب عنه قــارئه قــائلا : لعــلك تقول: إن كانت هذه الأقسام دلائل لا غير ، فلِمَ لم تذكر على أسلوب الاحتجاج الصريح ؟ .

وكان جوابــــه : اعلم أن الاستدلال ــ إذا كان على أمـــور لا تتعلق بها [العواطف من] الرغبة والنَّفْرة ، مثل ما ترى فى العلوم الطبيعية والرياضية أو فى تاريخ الأولين على الأكثر ـــ كان ذكر الأدلة فيها أولى بالتصريح .

أمـــا إذا اســـتدللنا على أمور نفسانية، يتصادم فيها من القائل والسامع حث واســـتنكار، وزجر واستكبار، وإلحاح وإصرار، احتجنا إلى إيراد الأدلة على وجوه مختلفة من أساليب الكلام، متفاوتة فى الوضاحة واللطافة، والقوة والحدة .

وربما تبدّل الأسلوب لمحض اجتناب ملال السامع أو رجاء أن ينجح فيه بعض الأساليب أكثر من بعض، كما صرح القرآن : ﴿انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُــونَ ﴾ [1]، وكمـــا فعل إبراهيم مع الذى حاجّه فى ربه. فترك الإصرار على الدليـــل الأول حين لم يفهمه الخصم، وعمد إلى دليـــــل آخـــــر أقرب إلى فهمه ﴿ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾ [2]. فهذه جملة الجواب [3] .

وأخيرا ناظر الفراهى بين أسلوب القسم وبعض الأساليب الأخرى التى نص الـــنحويون والبلاغيون على خروجها عن معانيها الأصلية إلى معان أخرى، فقال : يـــدل القســـم على إظهار التأكيد والجد فى القول، كما ترى فى قول المرسلين من النصـــارى حيث جاء فى القرآن : ﴿قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ * وَمَا عَلَيْنَا

---

[1] سورة الأنعام ٦٥ .

[2] سورة البقرة ٢٥٨ .

[3] إمعـــــان ٤٨ .

إلاّ الْــبَلاَغُ الْمُبِينُ﴾ [1] أو كما ترى فى قوله : ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ * وَالأَرْضِ ذَاتِ الصَّــدْعِ * إِنَّـــهُ لَقَــوْلٌ فَصْلٌ * وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ﴾ [2] وقد صرح فى المثالين المذكوريـــن ، وذلـــك لخصوصية فى أسلوب القسم لا لأن فيه تعظيما، كما ترى تأكيد الإثبات والإنكار بأسلوب الاستفهام أو التعجب فى أكثر الألسنة ، أو تأكيد التعجب بالنداء كقولك : يا للماء ، و :

* يالقومى للشباب المبكر[3] *

ونظـــرت د • عائشة عبد الرحمن فى الواو المبدوءة بها آيات الأقسام، فى ضوء مـــا تعرف من أن الأصل فيها أن تأتى فى درَج الكلام للربط والعطف، فإذا جاءت للقسم فإن لها الصدارة فى مقام التوثيق لما يسبق إنكاره أو الإقرار والشهادة .

فوجـــدت أن ليـــس فى القـــرآن " والله " قسما غير قسم المشركين فى آيتى الأنعام، ووجدت القسم بــ " رب " فى أربع آيات . والواو فى كل هذه الآيات فى درج الكلام ، وليست فى مستهل السورة أو الآية، فإذا وقعت فى أول الآية كانت مسبوقة بالفاء أو فلا ، والقسم فيها على وجهه من التأكيد والتقرير .

ووجدت المفسرين والبلاغيين قنعوا بأنها لإعظام ما تلاها، وحملوا الآيات من التأويلات الفلسفية والإشارية ما لا نتصور أن هذه الواو يمكن أن تحمله من قريب أو بعيد .

مـــن هـــنا كان وقوفها أمام هذه الظاهرة الأسلوبية فى البيان القرآنى ، لعلها تجتلى من سرها البيانى، ما تضيفه إلى فكرة الإعظام التى سيطرت وحدها على كل من قرأت لهم من المفسرين والبلاغيين .

---

(1) سورة يـــس ١٦ ـــ ٧ .

(2) سورة الطـــارق ١١ ـــ ٤ .

(3) إمعـــان ٤٨ ـــ ٩ . وانظر فصل البلاغة والإعجـــاز .

والذى اطمأنت إليه ـــ بعد طول التدبر لسياق الواو فى الآيـــات المستهلة بهـا ـــ هـو أن هـذه الواو قد خرجت عن أصل معناها اللغوى الأول فى القسم للتعظـيم، إلى معـنى بلاغى ، هو اللَّفت ـــ بإثارة بالغة ـــ إلى حسّيات مدرَكة لا تحتمل أن تكون موضع جدل ومماراة، توطئة إيضاحية لبيان معنويات يُمارَى فيها ، أو تقريـر غيـبيات لا تقع فى نطاق الحسيات والمدركات. وهذا البيان للمعنوى بالحسى، هو مدار استعمال البيان القرآنى، وهو الذى يمكن أن يعرض على الآيات المستهلة بواو القسم، فتقبله دون تكلف فى التأويل أو اعتساف الملحظ[1] .

وقـوة الـلفت فى مـثل هذا الأسلوب تأتى من العدول بالواو عن موضعها المألوف فى درج الكلام ، فتثير أقصى التنبه .

ولعـل السـلف الصالح من المفسرين، ما فاتهم هذا الملحظ البيانى إلا لأن علماء البلاغة قد عرفوا خروج الخبر والاستفهام والأمر والنهى عن معانيها الأولى فى أصـل الـلغة ، إلى معـان بلاغية نصوا عليها فى كتب البلاغة المدرسية . ثم لم يشـيروا إلى خـروج القسم عن معناه الأول . فكان ما كان من اعتساف التأويل للآيات المبدوءة بواو القسم ، لتظل كما أراد لها علماء البلاغة ، على أصل معناها اللغوى ، لا تخرج عنه إلى معنى بلاغى [2].

وانفـرد بعض العلماء بذكر علل للأقسام لم تتكرر عند غيرهم من مراجعى مثال ذلك قول الطوسى : إن الله أقسم بهذه الأشياء لما فيها من اللطف[3] ، وقول

---

(1) الإعجاز ٢٢٦ ـــ ٣٠ .
(2) الإعجاز ٢٣٣ ـــ ٤ .
(3) التبيـان ٩ / ٣٧٧ .

الطبرسـى : لبركتها[1] ، وقول الرازى : لإيجاب الشكر على الناس[2] ، وقول أبي حيان: التنبيه على كونها قوام الوجود [3]، وقول الآلوسى : لإرهاب المنكرين [4]، وقول محمد عبده : لتقرير وجودها فى عقل من ينكرها، أو لقلب الاعتقاد فى قلب مـن أضله الوهم أو خانه الفهم، أو لتقريع من خصها بالعبادة [5]، وقول طنطاوى جوهـرى : لـلحث على العمل الصالح [6]، وقول د . أحمد أحمد بدوى : لإثارة العاطفـة الوطنية التى تدفع إلى تقديس الوطن [7]، وقول د. محمد بكر إسماعيل : للـتحذير من شرها[8] . والحق إنه لا يمكن حصر ما قالوا من علل حصرا شاملا ، وبخاصة إذا تتبعنا الأقسام واحدا بعد واحد .

وتكشـف هـذه الجولة أننا يمكن أن نجمع كل الأقوال التى قيلت فى تعليل إقسـام القرآن بالأشياء فى علتين عامتين : العظمة والدلالة. ونذهب إلى أن العظمة تجمـع الشرف والعزة والفضل والنفع وما إليها . ونضع تحت اسم الدلالة كل ما أشارت إليه من وجود الله الخالق لهذه الأشياء وصفاته .

---

(1) مجمع ٢٧ / ٢٦ .

(2) مفاتيح ٣١ / ١٤٧ ، ١٧١ .

(3) البحـر ٨ / ٣٧٨ .

(4) روح : ٣٠ / ١١٠ .

(5) جزء عم ١٣ ، ٣٤ ، ١٢٣ . وانظر موسى ١٢٥ ـ ٦ .

(6) بلاغـة ٤٦ .

(7) من بلاغـة ١٧٢ .

(8) دراسـات ٣٧٠ .

وتكشف أيضا أن القدماء لم يجدوا أدنى تعارض بين العلتين العامتين، اللتين ذكرهما. ولذلك جمع بعضهم بينهما فى القسم الواحد، ورد بعضهم عظمة بعض الأشياء إلى كونها دالة على إحدى صفات الخالق .

ويؤدى بنا هذا إلى أن نعرف أن الفراهى أخطأ حين فرق بين العلتين، وخلط بين التعظيم والتقديس، وظن أن الرازى انفرد بالقول بالتعظيم . وكال له — من أجل ذلك — التهم دون وجه حق ، لأن الرازى قال بالعلتين كلتيهما .

وتكشف أن الفراهى ود.عائشة عبد الرحمن سارا فى طريق واحد، وأن العلميين والقائلين بالإعجاز العلمى من المحدثين عنوا بعلة الدلالة على حساب علة العظمة .

٣ ـ تقدير مضاف محذوف

نقل الطبرى أن معنى القسم فى أمثال سورتى الطور والتين على مذهب مالك ابن أنس (٩٣ ــ ٧١٢/١٧٩ ــ ٧٩٥) : ورب الكتاب المسطور، وخالق التين والزيتون [١].

ونقـــل الطوسى أن أبا على محمد بن عبد الوهاب الجبائى (٢٣٥ ــ ٣٠٣/ ٨٤٩ ــ ٩١٦) قـــال : القسم فى كل ما ذكر فى القرآن من المخلوقات، إنما هو قسم بربه [٢].

ونســـب الرازى هذا القول مرة إلى القاضى، أى عبد الجبار بن أحمد (٤١٥/ ١٠٢٥) [٣] ، وأخرى إلى المتكلمين [٤]، وثالثة إلى جماعة من أهل الأصول [٥].

واعتل الجبائى بأن القسم لا يجوز إلا بالله [٦] .

---

[١] الجـــامع ١٠/ ٤١ . وأتى به غير منسوب : الطوسى ٤٤١/٨ ، ٣٥٥/٩ ، ٣٧٧ ، ٤١٨ ، ١٠/ ١٨٣ ، ٢٢٣ ، ٢٥١، ٣١٢، ٣١٥، ٣٥٦ . البغوى ٣٤/٧ . الطبرسى ١١٧/٢٩ ، ٢٢٣ ، ٣٠ / ٢٢، ٩٩ ، ١٦٦، ٢٥١، ٣١٢ ، ٣١٥ . ابـــن الجـــوزى ٤٥/٧ ، ٢٧/٨. الزركشـــى ٣/ ٤١ . النيســـابورى ٨٤/٣٠، ٩٨ . معترك ١/ ٤٥١ . الإتقان ٢/ ١٧٠ . الشوكانى ٣٧٤/٤ ، ٥/ ٤٤٥ ، ٤٥٥، ٤٩٥ . المدخل ١/ ٥٠٣ . العمرى ٢٤٥ .

[٢] التبيان ٥٠٧/٩ ، ١٠/ ١٠٨ . الطبرسى ٤٨/٢٣، ٤٩/٢٩ ، ٣٠ / ١٥٧ .

[٣] مفاتيح ٣١ / ١٥٠ ، ١٧١ ، ١٧٣ .

[٤] مفاتيح ٣١ / ٩٩ .

[٥] مفاتيح ٣١ / ١٧١ .

[٦] الطوسى ١٠ / ١٠٨ . الطبرسى ٢٣ / ٤٨ . وانظر الرازى ٣١ / ٩٩ .

وصـــرح ــ هـــو والقاضـــى ــ بأن الذى سوغ حذف المضاف كون حجج العقول دالة على المحذوف [1] .

واستدل القاضى على رأيه بما يلى :

* لا يجوز أن يكون المراد من قوله ﴿ وَمَا بَنَاهَا ﴾ الله ، للأسباب التالية :

(ما) لا تستعمل فى خالق السماء إلا على ضرب من المجاز .

لا يجوز منه ــ تعالى ــ أن يقدم قسمه بغيره ــ السماء ــ على قسمه بنفسه.

لا يكاد يذكر ــ تعالى ــ مع غيره على هذا الوجه .

لا بـــد إذن من التأويل ، وهو أن (ما) مع ما بعدها فى حكم المصدر، فيكون التقدير: وَالسَّمَاءِ و بِنَائها [2] .

* القســـم ــ فى ســـورة الفجر ــ دال على المبالغة . ومعلوم أن المبالغة فى القسم لا تحصل إلا فى القسم بالله [3].

وأتـــى بهـــذا الاستدلال فى صياغة أخرى ــ فى موضع آخر ــ مع نسبته إلى أصحاب هذا القول ، دون تحديد، فذكر أنهم احتجوا عليه بوجوه :

الأول : أنه ﷺ نهى عن الحلف بغير الله . فكيف يليق بحكمة الله أن يحلف بغير الله ؟

الـــثانى : أن الحلف بالشىء تعظيم عظيم للمحلوف به . ومثـــل هذا التعظيم لا يليق إلا بالله .

---

(1) الطبرسى ٢٣/ ٤٨ ، ٢٩ / ٤٩ ، ١١٧ ، ١٥٧ .
(2) مفاتيح ٣١ / ١٧١ . وانظر النيسابورى ٣٠ / ٩٨ ــ ٩ .
(3) مفاتيح ٣١ / ١٥٠ ، ١٧١ .

الـثالث : أن هذا الذى ذكرناه تأكـــد إذ صرح ــ تعالى به فى قوله : ﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا * وَالأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا * وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ [1] .

ورد الطوســى عــلى هذا الرأى بأنه ترك للظاهر من غير دليل، لأنه قد يجوز ذلــك القسم على جهة التنبيه على ما فى الأشياء من العبرة والمنفعة. واستدل بقول الحسن البصرى الذى ينص أن لله أن يقسم بما شاء [2].

واعــترض الزمخشــرى على جعل (ما) فى الآيات مصدرية، لأن ذلك ــ فى رأيــه ــ يؤدى إلى فساد النظم . ورأى أن الوجه أن تكون موصولة . وإنما أُوثرت عــلى (مَــن) لإرادة معنى الوصفية ، كأنه قيل : والسماء والقادر العظيم الذى بــناها، ونفــس والحكــيم الباهر الذى سواها. وفى كلامهـــم : سبحان ما سخركن لنا [3] .

وشــرح الــرازى فساد النظم الذى أشار إليه الزمخشرى فأعلن أنه يلزم من تأويل القاضى أن يكون المراد (ورب السماء وربها) وذلك كالمتناقض [4] .

ثم نظر فى قوله وقول الزمخشرى ، وتساءل :

إن الذى ذكره صاحب الكشاف من أن (ما) هاهنا لو كانت مصدرية لكان عطف (فألهمها) عليه يوجب فساد النظم : حق .

---

(1) مفاتيح ٢٦ / ١٠٣ .

(2) البيان ٩/ ٥٠٧ ، ١٠/ ٢٥١ . وأتى به غير منسوب : الطبرسى ٢٢/٣٠ . وانظر الشوكانى ٥/ ٤٥٥ .

(3) الكشــاف ٤/ ٧٥٩ . الــرازى ٣١ / ١٧١ ، ١٧٣ . النيسابورى ٩٨/٣٠ . الآلـــوسى ١٨٢/٣٠ .

(4) مفاتيح ٣١ / ١٧١ .

والـــذى ذكره القاضى من أنه لو كان هذا قسما بخالق السماء لما كان يجوز تأخيره عن ذكر الشمس ؛ هو إشكال جيد .

ثم قدم الحل بقوله : والذى يخطر ببالى فى الجواب عنه : إن أعظم المحسوسات هـــو الشمس. فذكرها ـــ سبحانه ـــ مع أوصافها الأربعة الدالة على عظمتها . ثم ذكـــر ذاتـــه المقدســـة بعد ذلك، ووصفها بصفات ثلاث ، وهى تدبيره للسماء والأرض والمركبات . ونبه على المركبات بذكر أشرفها ، وهى الشمس .

والغـــرض مـــن هـــذا الترتيب هو أن يتوافق العقل والحس على عظمة جرم الشـــمس . ثم يحـــتج العقل الساذج بالشمس ، بل بجميع السماويات والأرضيات والمركبات، على إثبات مُبدئ لها . فحينئذ يحظى العقل بإدراك جلال الله وعظمته، على ما يليق به ، والحس لا ينازعه فيه . فكان ذلك كالطريق إلى جذب العقل من حضيض عالم المحسوسات إلى يَفاع عالم الربوبية وبيداء كبرياء الصمدية [١].

وشـــرح النيسابورى الموقف الأخير من الرازى ـــ دون أن يذكره ـــ بأن الله أراد أن نـــتدرج من المحسوسات إلى المعقولات ، ومن المصنوعات إلى الصانع[٢] . وكـــان أدق من الرازى حين وصف ما يلزم عن تأويل القاضى بالتكـــــــــرار لا التناقض[٣] .

---

[١] مفاتيح ٣١ / ١٧٣ .
[٢] غرائب ٣٠ / ٩٩ .
[٣] غرائب ٣٠ / ٩٨ .

٤ ـ الأشياء التى أقسم الله بها

مـــن الـــبديهى أن المفســـرين تصدوا لإبانة ما أقسم الله به فى كل واحد من الأقســـام حســـب موقعه فى المصحف . ولكننى ــ فى هذا المقام ــ لن أعنى بهذه الحالات الفردية ، وإنما أعنى بالمحاولات التى اضطلع بها بعض العلماء لإبانة كل ما أقسم الله به أو مجموعة كبيرة منه فى موضع واحد.

وأول مـــا أتعـــرض له تلك التى تتجلى فى قول ابن أبى الإصبع : المفتَتحات بالقسم خمس عشرة سورة . وهى على خمسة أضرب :

- ضرب أقسم فيه سبحانه بالملائكة .
- وضرب أقسم فيه بالأفلاك .
- وضرب أقسم فيه بلوازم الأفلاك .
- وضرب أقسم فيه بالعناصر .
- وضرب أقسم فيه بالمولَّدات، أعنى الحيوانات والنباتات والجمادات.

فالضرب المقسم فيه بالملائكة سورة واحدة ، وهى الصافات.

والضرب المقسم فيه بالأفلاك سورتان ، وهما البروج ، والطارق .

والضـــرب المقســـم فيـــه بلوازم الأفلاك ست سور، وهى النجم ، والفجر، والشمس ، والليل ، والضحى، والعصر .

والضرب المقسم فيه بالهواء سورتان، وهما المرسلات ، والذاريات.

والضرب الذى أقسم فيه بالتربة سورة واحدة، وهى الطور .

والحكمـــة فى ذكر هذين العنصرين الأخيرين أن جميع المولدات من العناصر لا تخرج عن لطيف وكثيف. فكثافة الكثيف من التراب، ولطافة اللطيف من الهواء .

فكـــان ذكر هذين العنصرين مستلزما ذكر كل لطيف وكثيف. فلأجل ذلك كان ذكرهما دون غيرهما مما تقتضيه البلاغة. وأيضا فإن طبيعة الهواء حارة رطبة، وطبيعة الـــتراب باردة يابسة. والحرارة والرطوبة طبعُ الحياة، والبرد واليبس طبيعة الموت. فكـــأن ذكر هذين العنصرين يتضمن ذكر الحياة والموت، اللذين لا يَعْرَى الموجود عن أحدهما. فتعين ذكرهما دون غيرهما.

والمقسم فيه بالمولدات على ثلاثة أضرب :

- ضرب أقسم سبحانه فيه بالجماد ، وهى سورة واحدة، وهى الطور.
- وضرب أقسم فيه بالنباتات فى سورة واحدة أيضا ، وهى التين .
- وضرب أقسم فيه بالحيوان ، وهو صنفان :
  - صـــنف أقســـم فيـــه بـــالحيوان الناطق، وهو سورة واحدة، هى النازعات.
  - وصنف أقسم فيه بالحيوان البهيم ، وهو سورة واحدة أيضا، وهى العاديات [1].

وذهب ابن القيم إلى أن القسم لا بد أن يكون بما يحسن فيه التوكيد كالأمور الغائـــبة والخفية. أما الأمور الظاهرة المشهورة ــ كالشمس والقمر والليل ــ فهذه يقسم بها ولا يقسم عليها [2].

وحصر ما أقسم الله به فى :

- نفسه الموصوفة بصفاته .
- وآياته المستلزمة لذاته وصفاته .

---

[1] الخواطر ٨٠ ــ ٢ .

[2] التـــبيان ١/ ٤٦ . معـــترك ١/ ٤٥٣ . الإتقان ٢/ ١٧١ . قمحاوى ٣/ ٢٦ . وأتى به دون نسبة: القطان ٣٠٤ . أمين ٢٤٤ . شحاتة ٢٧٤ . العمرى ٢٤٧ .

• وبعض المخلوقات [1].

وجاء الزركشي بقولين : قال فى أولهما : أقسم الله بنفسه فى سبعة مواضع :

﴿ فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ ﴾ [2].

﴿ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ ﴾ [3].

﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [4].

﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ﴾ [5].

﴿ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ ﴾ [6].

﴿ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ﴾ [7].

﴿ فَلاَ أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ ﴾ [8].

والباقى كله أقسم بمخلوقاته [9] .

وقال فى الثانى : أقسم سبحانه بثلاثة أشياء :

---

(1) التبيان ١/ ٤٥ . معترك ١/ ٤٥٣ . الإتقان ٢/ ١٧١ . الفراهى ١٠، ١٢ . قمحاوى ٣/ ٢٥ . وأتى به دون نسبة : القطان ٣٠٢ . الآلوسى لعبد الحميد ٢٤٦ . أمين ٢٤٠ ، العمرى ٢٤٦ . وانظر خليف ٩٦ ــ ٧ .

(2) سورة النساء ٦٥ .

(3) سورة يونس ٥٣ .

(4) سورة الحجر ٩٢ .

(5) سورة مريم ٦٨ .

(6) سورة الذاريات ٢٣ .

(7) سورة التغابن ٧ .

(8) سورة المعارج ٤٠ .

(9) البرهان ٣/ ٤٠ . وأتى به غير منسوب : معترك ١/ ٤٥٠ . الإتقان ٢/ ١٧٠ . القطان ٣٠. القاضى ٨٤ . شحاتة ٢٦٩ ، ٢٧٣ ، ٢٧٨ . قمحاوى ٣/ ٢٣ . الغمرى ٢٤٤ . رضا ١٦٦ . وانظر أمين ٢٤٠ .

أحدها : بذاته ، كقوله : ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ﴾ [1] .

والثاني : بفعله ، كقوله : ﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا * وَالأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا * وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ [2] . ويصلح هذا على اعتبار (ما) مصدرية .

والثالث : مفعوله ، نحو : ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى ﴾ [3] .

وأفاض طنطاوى جوهرى كما أفاض ابن أبى الإصبع قبله. فقال : تراه ـــ عز شأنه ـــ أقسم عشرين قسما بالأجرام العلوية وخواصها وأضوائها ومواقعها، تراه أقسم بالفجر، والفلق ـــ وهو الصبح ـــ والشمس ، والضحى ، والنهار، والعصر، والليل إذا يغشى ـــ يغطى ـــ المخلوقات كأنه ملاءة منشورة عليهم، والليل إذ يسرى ـــ يسير ـــ حول الكرة الأرضية تابعا النهار، والنهار يتبعه .

وأقسم بالليالى العشر ، فى أول كل شهر عربى، لغلبة ظلامها على ضوئها.

وأقسم بالنجم إذا هوى ، تنبيها على مغارب النجوم وإيقاظا لها .

وأقسم بمواقع النجوم وأماكنها الواقعة فيها ودوائرها .

وقال : ﴿ أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ ﴾ أى محل الشروق والغروب .

وأقسم بالشفق ، وبالليل ، وبما وسق ـــ أى جمع .

وأقسم بالقمر ، وبالسماء ذات البروج، تنبيها لمعرفتها ، لتعرف السنون والشهور والأيام .

وأقسم بالسماء ووصفها بأنها ذات الحبك ـــ أى طرق النجوم ـــ وبالقمر إذا اتسق ـــ أى امتلأ بالنور .

---

[1] سورة الذاريات ٢٣ .

[2] سورة الشمس ٥ ـــ ٧ .

[3] سورة النجم ١ . البرهان ٣/ ٤٢ . وأتى به غير منسوب : معترك ١/ ٤٥٢ . الإتقان ٢/ ١٧٠ . القاضى ٨٦ . شحاتة ٢٨٠ . المدخل ١/ ٥٠٤. قمحاوى ٣/٢٤ . ونسبه للسيوطى :رضا ١٦٨ .

وأقسم بالسماء ، وبمن بناها .

وأقسم بالنازعات غرقا ، وهى النجوم التى ترمى شهبا عن دوائرها المشبهات القوس . فكأن النجم إنسان، والدائرة قوس ، والشهاب الساقط سهم. وذكر أنها ناشطات فى سيرها، مسرعات فيه، تتم دورانها كالشمس فى سنة، والقمر فى شهر. فقال : ﴿ وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا * وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا * فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا ﴾ أى النجوم التى تسبق غيرها، وتتم دورها سريعا ﴿ فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ﴾ [1] وهى هذه النجوم ، لأنها بها يتم تدبير العالم .

ثم إنه أقسم بذكر أشياء أخرى مما تحت الفلك ، وأحاط بالكرة الأرضية :

فأقسم بالرياح الذاريات ، وبالجبال ، فقال : ﴿ وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا * فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا ﴾ أى الرياح التى تحمل السحاب، وتذرو الأشياء .

وأقسم بالأرض وما طحاها. فالأرض مفهومة، وطحوها دحيها وتسويتها وإتقانها.

وأقسم بالجبل فقال : ﴿ وَطُورِ سِينِينَ ﴾

وبالنبات فقال : ﴿ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴾

وبالبلد الذى خرج منه سيدنا محمد ﷺ فقال : ﴿ وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ ﴾

وأقسم بالخيل فقال : ﴿ وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ﴾ أى الخيل التى تعدو وهى تضبح فى الجرى ضبحا .

وأقسم بكل من يُحِس ، وكل ما يُحَس ، فكأنه أقسم بكل محسوس وبكل ما يحس به .

وأقسم بالناطق والصامت فقال : ﴿ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴾ [2]

---

(1) سورة النازعات ٢ ـــ ٥ .

(2) سورة البروج ٣ .

وأقسم بيوم القيامة، ويوم الجزاء ، ويوم الميعاد، الذى سيجازى فيه الناس.

وأقسم بالكتب المسطرة المنثورة ، وهى ما يقرؤه الناس .

وأقسم بالبحر .

ثم عمم القسم بكل ما خلق فقال: ﴿فَلاَ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ *وَمَا لاَ تُبْصِرُونَ ﴾[1].

فكأنه أقسم بكل شىء — إذ العالم قسمان : ما يُبصَر ، وما لا يبصر.

وجـــــاء بتعميم آخر ، فأقسم بالشفع والوتر. ولا ريب أن العدد إما شفع أو وتر .

وهـــذه نحـــو عشـــرين قسما . أحاط بها بالأرض والهواء والسحاب والجبال والنبات والحيوان .

وخصص الإنسان منه فقال : ﴿ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ﴾ [2] أى أقسم بآدم وأولاده وغيرهـــم . وخصـــص ذلك بعد فقال :﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ [3] فأقسم بالنفوس وتسويتها.

فتراه أقسم بأمهات العالم كلها . وأخيرا أقسم بكل ما خلق مما نشاهد وما لا نشاهد.

تفيـــد هذه الأقسام بالعلويات — وهى تبلغ العشرين — وبالسفليات — وهى تبـــلغ العشـــرين أيضـــا — أن الله أمر عباده، وأوجب عليهم النظر فى العلويات والسفليات بالتساوى، وفى الحساب والهندسة ... وجميع العلوم [4].

---

[1] سورة الحاقة ٣٨ ، ٣٩ .

[2] سورة البلد ٣ .

[3] سورة الشمس ٧ .

[4] التاج ٩٧ — ١٠٠ .

وذكـــر د٠أحمـــد أحمـــد بـــدوى أن القرآن أقسم بالرب، وحياة المخاطب (الرســـول)، ومصنوعات الله ، كالشمس والقمر والنهار والليل والسماء والأرض والنفس [١].

وقـــال د٠عـــبد الله محمـــود شحاتة : أقسم القرآن بكثير من مخلوقات الله ، وبالملائكـــة، وبالنبى ، وبمظاهر الكون كالشفق والليل وما وسق والقمر إذا اتسق وبالعصر والضحى والشمس، والبلد ، ووالد وما ولد، وبالفجر والتين [٢].

وأجمـــل د٠يوسف خليف الأمر فى قوله : جرى القسم فى القرآن على خمسة أساليب .

فالله يقسم بذاته الموصوفة بصفاته، مثل :

﴿ فَلا وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾ [٣].

ويقسم بآياته المستلزمة لذاته .

ويقسم بنبيه .

ويقسم ببعض مخلوقاته .

ويقسم بالقـــرآن [٤] .

وخالف ــ محقا ــ من سبقوه، فذكر أن قسمه بذاته ورد فى عشر آيات، منها آيتان مدنيتان، والثمانى الباقيات مكية. وأضاف إلى ما ذكره الزركشى:

---

(١) من بلاغة ١٧٠ ــ ١ .

(٢) علوم ٢٧٨ .

(٣) سورة النساء ٦٥ .

(٤) دراســـات ٩٦ .

﴿ تَا للَّه لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ ﴾ [١].

﴿ تَا للَّه لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ ﴾ [٢].

﴿ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ ﴾ [٣].

وقال : ورد القسم بالقرآن فى خمسة مواضع ، كلها مسبوقة بالحروف المقطعة التى افتتحت بها بعض السور :

﴿ يس * وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ﴾ .

﴿ ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ﴾ .

﴿ حم * وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴾ [٤].

﴿ ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ﴾ .

أمـــا أكـــثر أقسام القرآن انتشارا فهو القسم بآياته ومخلوقاته، وهى التى تُمَيِّز أسلوب القسم فيه بهذا الطابع الفريد به [٥].

واقتصر د٠ محمد بكر إسماعيل على أن الله أقسم بذاته فى ستة مواضع فقط [٦].

وتـــبين هذه الجولة أن أوفى الإحصاءات ما جاء به ابن أبى الإصبع وطنطاوى جوهرى، وأدقها ما جاء به د٠يوسف خليف مع حرصه على إبانة المكى من المدنى مـــن الآيات، وأوجزها مع الوفاء ما جاء به ابن القيم . أما غيرهم فلم يحاولوا أن يكون الحصر شاملا .

---

[١] سورة النحل ٥٦ .

[٢] سورة النحل ٦٣ .

[٣] سورة سبأ ٣ .

[٤] سورتا الزخرف والدخان ١ ، ٢ .

[٥] دراســـــات ٩٦ ــ ٩ .

[٦] دراســـــات ٣٦٤ .

٥ ـ الحسية فى الأقسام المكية والمدنية

وكـــان من العلماء من تأثر بأقوال المستشرقين ، فوازن بين الأقسام فى العهد المكـــى والأقسام فى العهد المدنى. فزعم أن القسم المكى يكثر فيه القسم بالضحى والشمس ... إلى آخر ما هو جدير بالبيئات الساذجة التى تشبه بيئة مكة تأخرا وانحطاطا، وأن القسم المدنى خلا من القسم بهذه المحسوسات.

فتصـــدى له د. محمد محمد أبو شهبة، ورماه بأن غرضه ـــ من هذا القول ـــ الزعم بأن القرآن متأثر بالبيئة ، ليصل إلى التشكيك فيه .

وأعلن أن هذا الكلام مردود بما يأتى :

١ – دعوى أن البيئة المكية ساذجة جاهلة لا ترقى إلى ما وراء الحس ، دعوى لم يقم عليها دليل ، ويكذبها الواقع والتاريخ الصحيح. فقد كان أهـــل مكة أوفى ذوقا، وأرهف شعورا ، وأذكى عقولا من أهل المدينة.

٢ – إن الله أقســـم ـــ فى القســـم المكى ـــ بالمعقول كما أقسم بالمحسوسات . فمن ذلك قسمه بالقرآن والملائكة والنفس الناطقة ...

٣ – إن القســـم بهـــذه الأشياء لا لكونها محسوسة، وإنما هو تنبيه إلى ما تشتمل عـــليه من إحكام فى الخلق والصنعة، وما تنطوى عليه من أسرار وعجائب، ونعم وآلاء [1].

وليـــت الشـــيخ اكتفى بالأمرين الأخيرين ، ولم يتعرض للموازنة بين مكة والمدينة، لأن الكثيرين لا يوافقونه على ما قال .

---

(1) المدخـــل ٢٤٧ .

الفصـــــل الثانى

أساليب القسم

أ - دخول أدوات النفى عليه

ومن أول الظواهر التى لفتت أنظار العلماء دخول (لا) على القسم فى عدة آيات . وقد اختلفوا فيها على النحو التالى :

١ - لا غير نافية للقسم

فنقل الطوسى أن ابن عباس فصل بينها وبين فعل القسم الذى بعدها، فجعلها غـــير نافية له ، وقال : (لا) تأكيد، كقولك : لا والله ، بلى والله : ما كان كذا. فكأنه قال : لا ، أقسم بيوم القيامة ما الأمر على ما توهموه [١].

---

[١] التبيان ١٠ / ١٩٠ . ونسب الطبرى ٢٩/ ١٠٨ ، والبغوى ٨/ ٢٧٩ : هذا القول لأبى بكر ابن عياش، والزجاج لسعيد بن جبير (ابن الجوزى ٨/١٥٠) . والقرطبى ٥٩/٢٠ للأخفش . وأورده غـــير منسوب : الزمخشرى ٦٥٨/٤ . ابن الجوزى ١٢٦/٩ . الرازى ٢٩/ ١٦٣ . القرطبى ٩٢/١٩ . أبو حيان ٨/ ٢١٣ . حمودة ٢٦ . السامرائى ٥٧ .

وقال محمد الخضر حسين عن هذا الأسلوب : إنه من الصيغ المذكورة للقسم المفيدة للتوكيد والتحقيق [١] .

وروى الطبرسي عن عبد الله بن عباس وسعيد بن جبير قالا : (لا) صلة ، ومعنى الكلام أُقسم [٢] .

وعارض يحيى بن زياد الفراء (١٤٤ـ ٢٠٧ / ٧٦١ ـ ٨٢٢) هذا القول، لأنه لا يُبتدأ بجحد [نفى]، ثم يجعل صلة يراد به الطرح، لأن هذا ـ لوجاز ـ لم يعرف خبر فيه جحد من خبر لا جحد فيه[٣] .

ورد أبو على الحسن بن أحمد الفارسى (٢٨٨ـ ٣٧٧/٩٠٠ـ ٩٨٧) على الفراء قائلا : (لا) صلة كالتى فى قوله : ﴿ لِئَلاَّ يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ ﴾.

فإن قلت : لا ، وما ، والحروف التى هى زوائد، إنما تكون بين كلامين كقوله: ﴿مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ ﴾ [٤] و ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِمْ ﴾ [٥] ولا تكاد تزاد أولا .

---

(١) بلاغة ٤٥ . موسى ١٢٦ .

(٢) مجمع ٢٩/ ٢٤ . وأضاف إليهما أبا عبيدة معمر بن المثنى (١١٠ـ ٢٠٩ / ٧٢٨ ـ ٨٢٤) القرطبى ٩١/١٩ . واقتصر على ابن جبير : الطبرى ٢٧/ ١١٧ ، ٢٩/ ٤١ ، ١٠٨ . الطوسى ٥٠٦/٩ ، ١٠ / ١٩٠ . ونسبه إلى على بن حمزة الكسائى وأبى عبيدة : الطوسى ١٠/ ١٩٠. وأتى به غير منسوب : الطوسى١٠/ ٢٨٥ ، ٣١٢ ، ٣٤٩. البغوى ٢/ ٢٤٥ ، ٢٢/٨ : ٢٧٩ . الزمخشرى ٤/ ٦٥٨ . الرازى ١٠٣/٣٠ ، ١٨٩ . القرطبى ١٧/ ٢٢٣ ، ١٨/ ٢٧٤ ، ٢٩٥ . الحديدى ٨٦ ـ ٧ .

(٣) معانى ٣/ ٢٠٧ . القرطبى ١٩ /٩٢ . وأتى به غير منسوب : الزمخشرى ٤/ ٦٥٨ . الرازى ٣٠ / ١٨٩ . ابن هشام ١/ ٢٧٦ . النيسابورى ٢٩/ ٩٦ .

(٤) سورة نوح ٢٥ .

(٥) سورتا النساء ١٥٥ ، والمائدة ١٣ .

فقــد قالوا : إن مجارى القرآن مجارى الكلام الواحد، والسورة الواحدة [1] .

والــذى يــدل عــلى ذلك أنه قد يذكر الشىء فى سورة، ويجىء جوابه فى سورة أخــرى، كقوله: ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴾ [2] جاء جوابه فى ســورة أخرى، ﴿مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُون ﴾ [3] فلا فصل ـــ على هذا ـــ بين قوله: ﴿ لِئَلاَّ يَعْلَمَ ﴾. وقوله : ﴿ لاَ أُقْسِمُ ﴾ [4].

وذكر الطوسى أن قوما ممن جعلوا (لا) صلة ، ذهبوا إلى أنها صلة مؤكّدة [5].

ورفض الزمخشرى كلام الفارسى، ورأى أن اعتراض الفراء صحيح ، لأن (لا) لم تقــع مزيدة إلا فى وسط الكلام، وجواب الفارسى غير سديد. ألا ترى إلى امرئ القيس كيف زادها فى مستهل قصيدته [6].

واستضعف الرازى أيضا القول بأنها صلة زائدة من وجوه :

الأول : قــوله ﴿لا وأبيك﴾ قسم على النفى، وقوله ﴿ لا أُقْسِمُ ﴾ نفى للقسم، فتشبيه أحدهما بالآخر غير جائز .

الــثانى : القرآن كالسورة الواحدة فى عدم التناقض. فأما أن يقرن بكــل آية ما قرن بالآية الأخرى، فذلك غير جائز، لأنه يلزم جواز أن يقرن بكل إثبات حرف النفى فى سائر الآيات، وذلك يقتضى انقلاب كل إثبات نفيا.

---

(1) الطبرســى ٢٩/ ١٢٣ . وأتى به غير منسوب : الزمخشرى ٤/ ٦٥٨ . الرازى ٣٠ / ١٨٩ . القرطبى ١٩/ ٩١ . ابن هشام ١/ ٢٧٦ . النيسابورى ٢٩/ ٩٦ . الآلوسى ٢٩ /١٧١ .

(2) سورة الحجر ٦ .

(3) سورة القلم ٢ .

(4) الطبرسى ٢٩/ ١٢٣ . وأتى به دون نسبة : الرازى ٣٠ / ١٨٩ . القرطبى ١٩ / ٩١ .

(5) التبيان ١٠ / ١٠٨ . الآلوسى ٣٠ / ١٧٠ .

(6) الكشاف ٤/ ٦٥٨ .

الثالث : المراد من قولنا : (لا) صلة ، أنها لغو باطل يجب طرحه حتى ينتظم الكلام . ومعلوم أن وصف كلام الله بذلك لا يجوز [1].

واتفق جمال الدين عبد الله بن يوسف المعروف بابن هشام النحوى (٧٠٨ — ٧٦١/ ١٣٠٩ — ١٣٦٠) مع الفراء، واعتمد عليه ، وأضاف إليه أن زيادة الشيء تفيد اطراحه ، وكونه أول الكلام يفيد الاعتناء به . ولهذا نقول بزيادة (لا) فى نحو ﴿ فَلاَ أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ ﴾ و ﴿ فَلاَ أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴾ لوقوعها بين الفاء ومعطوفها ، بخلاف أمثال ﴿ لاَ أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ [2].

وأعلن القرطبى أن القول بأن (لا) صلة قول أكثر المفسرين [3]. واتفق معه الآلوسى الذى أعلن أنه قول الجمهور[4] .

ولخص الآلوسى ما ذهب إليه الزمخشرى فى قوله : إذا وقعت (لا) فى خلال الكلام كقوله : ﴿ فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ ﴾ فهى صلة تزاد لتأكيد القسم . وإذا وقعت ابتداء كما فى سورتى القيامة والبلد فهى للنفى ، لأن الصلة إنما تكون فى وسط الكلام [5].

وروى الطبرسى عن سعيد بن جبير قال : (لا) زائدة، والمعنى فأقسم [6] .

---

(١) مفاتيح ٣٠ / ١٨٩ — ٩٠ . وانظر الآلوسى ٢٩ / ١٧١ .

(٢) المغنى ١/ ٢٧٦ .

(٣) الجامع ١٧ / ٢٢٣ .

(٤) روح ٢٩ / ١٧١ .

(٥) روح ٢٩ / ١٧١ .

(٦) مجمع ٢٧ / ١٣١ . ابن كثير ٤/ ٣١٨ . ونسبه لأبى عبيدة : الشوكانى ٥/ ٣٣٢ . ولسعيد بن مسعدة الأخفش (٢١٥/٨٣٠) : القرطبى ٢٠/ ٥٩ . وأتى به دون نسبة : ابن جنى ٢/ ٣٠٩ . البغوى ٨/ ٣٤٩ . الطبرسى ٢٧/ ١٢٣ ، ٢٩ / ١٢٣ ، ٣٠ / ٥٢=

وحكى الطوسى أيضا : قيل (لا) تزاد قبل القسم ، كقولك : لا والله لا أفعل كذا، ولا والله ما كلمت زيدا . وقال امرؤ القيس :

لا ، وأبيك ابنة العامرىْ ... ىِ ، لا يدَّعى القومُ أنى أفرّْ

بمعنى وأبيك [1] .

ووصفها فى سورة المعارج بأنها مقحمة [2].

ويتضح من الأقوال الواردة فى كونها صلة والواردة فى كونها زائدة أن لا فرق بين القولين ، وأنهما ــ فى حقيقة الأمر ــ يعبران عن رأى واحد [3].

ومــن ثم يرد على القول بزيادتها الاعتراضات التى وردت على القول بأنها صلة .

وروى ابــن كثير عن الضحاك بن مزاحم (١٠٥/٧٢٣) قال : إن الله لا يقسم بشىء من خلقه ، ولكنه استفتاح يستفتح به كلامه [4] .

وقــال القرطبى: أجاز سعيد بن مسعدة الأخفش (٢١٥/٨٣٠) أن تكون (لا) بمعنى (أَلاَ) [5] .

وقال فى موضع آخر : (لا) بمعنى (ألا) للتنبيه كما قال امرؤ القيس :

* ألا عم صباحا أيها الطلل البالى *

= ابــن الجــوزى ٨/ ٤١٥ ، ٤١/٩ . القرطبى ١٩/ ٢٣٦ ، ٢٧٤ . الشوكانى ٥/ ٢٨٣، ٢٩٣ ، ٣٨٦، ٤٠٣، ٤٣٩. شحاتة ٢٧٦. المدخل ١/ ٥٠٦ .

[1] التبيان ٩/ ٥٠٦ ، ١٠/ ١٩٠ . وأتى به غير منسوب : الطبرسى ٢٧/ ١٣١ ، ٢٩/ ٤٩ .

[2] التبيان ١٠ / ١٢٨ .

[3] انظر الرازى ٣٠ / ١٨٩ .

[4] التفسير ٤/ ٣١٨ . وانظر الآلوسى ١٥٢/٢٧ .

[5] الجامع ٢٠ / ٥٩ .

ونبه بهذا على فضيلة القرآن ليتدبروه ، وأنه ليس بشعر ولا سحر ولا كهانة كما زعموا [١] .

وذكر أبو حيان أنه قد قيل : إنها توكيد مبالغة ما ، وهى كاستفتاح كلام شبهُه فى القسم (ألا) فى شائع الكلام : القسم وغيره . ومنه :

* فلا وأبى أعدائها لا أخونها [٢] *

واستضعف ابن كثير رأى الضحاك [٣] .

وروى الآلوسى عن بعضهم أن (لا) كثيرا ما يؤتى بها قبل القسم على نحو الاستفتاح ، كما فى قوله .

لا و أبيك ابنة العامرى ... ى لا يدعى القوم أنى أفرّ [٤]

ووصفها الزمخشرى فى أكثر من موضع بأنها مزيدة مؤكّدة ، تؤكد معنى القسم كما زيدت فى ﴿لِئَلاَّ يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلاَّ يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ ﴾ [٥] أى ليعلم [٦] .

وذكر الرازى : أصلها (لأقسم) بلام التأكيد، أشبعت فتحتها، فصارت (لا) كما فى الوقف [٧] .

---

(١) الجامع ١٧ / ٢٢٣ . وانظر الشوكانى ٥/ ١٥٨ .

(٢) البحر ٨ / ٢١٣ .

(٣) التفسير ٤/ ٣١٨ . وانظر الشوكانى ٥/ ١٥٨ .

(٤) روح ٢٧ / ١٥٢ .

(٥) سورة الحديد ٢٩ .

(٦) الكشاف ١/ ٥٢٨ ــ ٩ ، ٤/ ٤٦٨ . أبو حيان ٢/ ٢٨٤ . الآلوسى ٥/ ٧٠ ، ٢٧/ ١٥٢ . وأتى به غير منسوب : الطبرسى ٢٩/٤٩، ٥١ . ابن الجوزى ٨/٣٥٤ . الرازى ١٠/ ١٣١. ابن هشام ١/ ٢٧٦ . الشوكانى ١/ ٥٧٣، ٥/١٥٨ . السامرائى ٥٣ ، ٥٥ .

(٧) مفاتيح ٢٩/ ١٦٣ . وأتى به دون نسبة : الآلوسى ٢٩/١٧١. خليف ١١٠.

واكـتفى أبـو حيان بأن قال : الأولى ـ عندى ـ أنها لام أشبعت فتحتها ، فتولدت منها ألف ، كقوله :

* أعوذ بالله من العقراب *

وهـذا ـ وإن كان قليلا ـ فقد جاء نظيره فى قوله: ﴿ فَاجْعَلْ أَفْئِيدَةً مِنْ النَّاسِ﴾ [(١)] بياء بعد الهمزة، وذلك فى قراءة هشام [(٢)] .

وقال د. محمد أبو النور الحديدى : هى لام الابتداء ، أشبعت فتحتها، فتولدت منها ألف . والعرب ربما أشبعت الفتحة بألف ، والكسرة بياء ، والضمة بواو [(٣)] .

وقـال الـرازى : يمكـن أن يكون الغرض منه الاستفهام على سبيل الإنكار، والتقدير : ، على أن الحشر والنشر حق ؟ ! [(٤)] .

وروى القرطبى أن بعضهم قال : (لا) زيادة فى الكلام للزينة [(٥)]. ولعـل د. إبراهـيم السـامرائى كان يشرح هذا القول حين قال : إن (لا) التى صُدِّر بها القسم من الأدوات تزاد لتحسين القول فى زيادة النفى، ومن هنا قالوا : إنها زائدة إرادة التوكيد الذى يراد فيه تحسين القول [(٦)] .

---

(١) سورة إبراهيم ٣٧ .

(٢) البحر ٨/ ٢١٣ . حمودة ٢٦ . وانظر الشوكانى ٥/ ١٥٨ .

(٣) البيـان ٨٨ .

(٤) مفاتيح ٣٠ / ١٩٠ . وأتى به غير منسوب : النيسابورى ٢٩ / ٩٧ .

(٥) الجامع ١٩ / ٩٢ .

(٦) من أساليب ٥٣ ـ ٤ .

٢ ـ لا نافية

واتفقت جماعة من العلماء على أن (لا) فى هذا الأسلوب نافية. ثم تشعبت بهم السبل حين تعرضوا لذكر المنفى .

فذهب سعيد بن جبير إلى أن (لا) نفى وردّ لما يقوله الكفار فى القرآن ، من أنه سحر وشعر وكهانة، كأنه قيل : فلا صحة لما يقولون فيه [(١)] .

ويبدو أن مجاهد بن جبر (٢١ـ ١٠٤/٦٤٢ـ ٧٢٢) اكتفى بالقول بأن (لا) رد عليهم [(٢)] . ففهم مكى بن أبى طالب حموش القيسى (٣٥٥ـ٤٣٧/٩٦٦ ـ ١٠٤٥) أن المعنى المراد ـ فى سورة البلد مثلا : ﴿ لاَ أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴾، إذ لم تكن فيه بعد خروجك منه [(٣)]. ونقل الشوكانى عن مجاهد أنه رد على من أنكر البعث [(٤)].

وفسر الفراء هذا الأسلوب فقال: جاء القرآن بالرد على الذين أنكروا البعث والجنة والنار . فجاء الإقسام بالرد عليهم فى كثير من الكلام المبتدأ منه

---

(١) أبو حيان ٢١٣/٨ . الآلوسى ٢٧/ ١٥٢ . ونسبه إلى على بن أحمد النيسابورى: ابن الجوزى ١٥٠/٨ . وأتى به غير منسوب : الطبرسى ٢٧/ ١٣١ . البغوى ٨/ ٢٢ . ابن كثير ٤/ ٣١٨ .

(٢) القرطبى ٢٠/ ٦٠ . وأتى به غير منسوب : الطبرى ٢٧/ ١١٧، ٢٩/ ٤١، ١٠٨ . الطوسى ٩/ ٥٠٦، ٣٤٩/١٠ . البغوى ٨/ ٢١٣ . الطبرسى ٢٩/ ٤٩ ، ٢٢٣ ـ ٤ . ابن الجوزى ٣٥٤/٨ ، ٤١٥ . ابن كثير ٤/ ٣١٨ ، ٥٤٢ . الآلوسى ٧٠/٥ .وانظر الرازى ٢٩/ ١٦٣، ١٠٣/٣٠، ١٩٠، ٩٩/٣١ . القرطبى ٢٧٤/١٨ .

(٣) القرطبى ٢٠/ ٦٠ . وأتى به دون نسبة : الشوكانى ٥/ ٤٣٩ .

(٤) فتح ٥ / ٤٣٩ .

وغـــير المبتدأ، كقولك فى الكلام: لا والله لا أفعل ذاك . جعلوا (لا) ـــ وإن رأيتها مبـــتدأة ـــ ردا لكلام قد كان مضى . فلو ألقيت (لا) مما ينوى به الجواب، لم يكن بـــين الـــيمين التى تكون جوابا ، واليمين التى تستأنف فرق . ألا ترى أنك تقول مبـــتدئا : والله إن الرســـول لحـــق . فإذا قلت : لا والله إن الرسول لحق، فكأنك أكذبـــت قومـــا أنكروه . فهذه جهة (لا) مع الإقسام وجميع الأيمان فى كل موضع ترى فيه (لا) مبتدأ بها . وهو كثير فى كلامهم [1] .

وذهب الطبرى إلى أن قول الفراء ـــ دون أن يذكر اسمه ـــ أولى الأقوال[2]. وكـــان يرى القراءة التى لا يستجيز غيرها أن تفصل (لا) عن (أقسم) ـــ على ما عليه قراءة الأمصار ـــ لإجماع الحجة من القراء عليها [3] .

وعلى هذا الأساس ، فسر (لا) ـــ فى الآية ٦٥ من سورة النساء مثلا ـــ بأنها رد عـــلى ما تقدم ، تقديره : ليس الأمر كما يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك. ثم استأنف القسم بقوله : ﴿وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾ [4].

---

[1] معانى ٣/ ٢٠٧ . الطوسى ٩/٥٠٦ ، ١٠ / ١٠٨ . البغوى ٨/٢٧٩ . القرطبى ١٧/ ٢٢٣، ١٩/٩٢ . الشـــوكانى ٥/ ١٥٨ . الآلوســـى ٢٩ / ١٧١ . وأتى به دون نسبة : ابن قتيبة ٢٦٩ . الطـــبرى ٢٩/ ٩٧ ، ١٠٨ ـــ ٩ . الطوسى ١٠/ ١٩٠ . ابن الجوزى ٨/ ٤١٥ . وانظـــر الزمخشرى ٤/ ٦٥٨ ـــ ٩ . الطبرسى ٢٩/ ١٢٣ ـــ ٤ . الـــرازى ٣٠ / ١٩٠ ، ٣١/ ٩٩ . القرطبى ١٨/ ٢٧٤، ١٩/ ٩٢ . ابن كثير ٤/ ٤٤٩، ٤٧٤ . ابن هشـــــام ١/ ٢٧٥ . النيسابورى ٢٩ / ٩٦ . الحديدى ٨٨ . خليف ١١٠ .

[2] جامع ٢٩ / ١٠٩ .

[3] جامع ٢٩ / ١٠٨ .

[4] جامع ٥ / ١٠٠ . ابن عطية ٤/ ١٢٠ . القرطبى ٥/ ٣٦٦ . الشـــــــوكانى ١/ ٥٧٣ ، ٥/ ٢٨٣ ، ٣٣٢ .ونســـبه إلى الواحـــدى: الـــرازى ٢/ ١٢٤ . وأتى به دون نســـبة : الطوسى ٣/ ٢٤٥ . البغوى ٢/ ٢٤٥ ـــ ٦ . ابن الجوزى ٢/ ١٢٤ .

وفســـرها القشـــيرى ــ فى سورة البلد ــ : رد لما توهم الإنسان المذكور فى هذه السورة، المغرور بالدنيا، أى ليس الأمر كما يحسبه من أنه لن يقدر عليه أحد . ثم ابتدأ القسم [1] .

واخـــتار أبـــو بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربى (٤٦٨ــ ٥٤٣/ ١٠٧٦ ــ ١١٤٨) هذا الوجه ، وقال فى استحسانه : « وأما من قال : إنها رد، فهو قول ليس له رد ، لأنه يصح به المعنى، ويتمكن اللفظ والمراد » [2].

واســـتدل الرازى على أن (لا) نافية بأنها على وزن قولنا : لا أقتل . ومعلوم أن ذلك يفيد النفى. والدليل عليه أنه لو حلف لا يقسم ، كان البر بترك القسم ، والحنث بفعله [3].

واستضـــعف أبو حيان هذا الوجه، لأن فيه حذف اسم (لا) وخبرها ، وليس جوابـــا لســـائل يسأل، فيحتمل ذلك، نحو قوله : لا ، لمن سأل : هل من رجل فى الدار ؟ [4].

كذلـــك أعلن الشوكانى أنه مدفوع بقوله: ﴿ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾ مع تعيين المقسم به والمقسم عليه [5].

---

[1] القرطبى ٢٠ / ٦٠ .

[2] القرطبى ٢٠ / ٦٠ .

[3] مفاتيح ٣٠/ ١٨٩ ــ ٩٠. وأتى به دون نسبة : القطان ٣٠٤ . أمين ٢٤٥ . شحاتة ٦ ٢٧. المدخل ١/ ٥٠٦ .

[4] البحر ٨/ ٢١٣ . الشوكانى ٥/ ١٥٨ . الآلوسى ٢٧ / ١٥٢ . وأتى به غير منسوب : الحديدى ٨٨ .

[5] فتح ٥ /١٥٨ .

وأحسن مناع القطان فصاغ الأقوال التى ترى النفى لكلام سابق أو متوهم ، واختـلفت فى كنهه ، صاغها صياغة عامة تندرج تحتها كل الأقوال ، فقال : (لا) نافية لمحذوف يناسب المقام [1] .

ولم يفصل أبو مسلم محمد بن بحر الأصفهانى (٢٥٤ــ٣٢٢/٨٦٨ ــ ٩٣٤) بين (لا) ــ التى رأى أنها نافية ــ وبين الفعل بعدها . وقدم وجهين لتفسير ذلك :

الأول : المعنى ﴿لاَ أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ لأنكم لا تقرون بها ﴿وَلاَ أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴾ فإنكم لا تقرون بأن النفس تلوم صاحبها يوم القيامة. ولكن أستخبركم فأخبرونى: هل أقدر على أن أجمع العظام المتفرقة ؟ فاعلموا أنا قادرون على أن نفعل ذلك [2].

الثانى : المعنى لا أقسم ، إذ الأمر أوضح من أن يحتاج إلى قسم [3].

واختار الرازى الوجه الأول ، وعده الأصح [4].

ولكن عبد الحميد الفراهى اعترض عليه ، وحكم عليه بأنه غير مختار عند العارف بكلام العرب . واعتمد فى اعتراضه على أمرين :

١ – لو كان المراد كما فهم ، لكان وجه القول نفى مجرد القسم، لا ذكر الأشياء الخاصة، كالنفس اللوامة والخنس والجوارى الكنس وغيرها .

---

(١) مباحث ٣٠٤ . وأتى به دون نسبة : أمين ٢٤٥ . شحاتة ٢٧٥ . المدخل ١/ ٥٠١ .

(٢) الطبرسى ٢٩ / ١٢٤ . الرازى ٣٠ / ١٩٠ . الفراهى ٩ ــ ١٠ .

(٣) الطبرسى ٢٧/ ١٣١ ، ٢٩ / ٤٩ ، ٥١ ، ١٢٤ . الآلوسى ٢٧ / ١٣١ ، ١٥٢ ، ٢٩ / ١٧١ . وأتى به دون نسبة : الطوسى ١٠٨/١٠ . الرازى ٢٩ / ١٦٣ ، ٣٠ / ١٩٠ . القرطبى ١٨/ ٢٧٤ . أبو حيان ٨/ ٣٢٨ . الشوكانى ٥/ ١٥٨، ٢٨٣ ، ٣٣٢ . عبده ٣. حسين ٤٥ .موسى ١٢٦ . القطان ٣٠٤ . أمين ٢٤٥ . المدخل ١/ ٥٠٦ . خليف١١٠.

(٤) مفاتيح ٣٠ / ١٩٠ .

٢ – هذا مخالف لأسلوب كلامهم . فإنهم يستعملون كلمة (لا) قبل القسم منقطعة . وهذا هو مختار الزمخشرى [١].

وأعلن الطوسى أن هناك من قال : (لا) توطئة للنفى الذى يأتى فيما بعد، لأنه إذا ذُكر فى أول الكلام وآخره كان أوكد وأحسن، لأن النفى له صدر الكلام، وقد اقتضى القسم أن يذكر فى الجواب [٢].

ورفض الزمخشرى هذا الرأى قائلا : لو قُصر الأمر على النفى دون الإثبات، لكان لهذا القول مساغ، ولكنه لم يُقصَر. ألا ترى كيف لقى ﴿لاَ أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ بقوله : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾ [٣].

وروى ابن عطية أن هناك من قال : إنما قدم (لا) على القسم اهتماما بالنفى وإظهارا لقوته ، ثم كرره بعد القسم تأكيدا للتهمُّم بالنفى .

وكان يصح إسقاط (لا) الثانية، ويبقى أكثر الاهتمام بتقديم الأولى . وكان يصح إسقاط الأولى، ويبقى معنى النفى، ويذهب معنى الاهتمام [٤].

---

(١) إمعان ٨ ـ ٩ .

(٢) التبيان ٣/ ٢٤٥ . وانظر الزمخشرى ٤/ ٦٥٩ . الرازى ١٣١/١٠ . القرطبى ٥/ ٢٦٦ . أبو حيان ٣/ ٢٨٤ . ابن هشام ١/ ٢٧٦ . ابن كثير ٤/ ٣١٨، ٤٧٤ . الشوكانى ١/ ٥٧٣ . الآلوسى ٥/ ٧٠ ـ ١ .

(٣) الكشاف ١/ ٥٢٨ ، ٦٥٩/٤ . أبو حيان ٣/ ٢٨٤ . الآلوسى ٥/ ٧٠ . وأتى به غير منسوب ابن هشام ١/ ٢٧٦ .

(٤) المحرر ٤/ ١٢١ . وأتى به غير منسوب : القرطبى ٥/ ٢٦٦ . أبو حيان ٣/ ٢٨٤ . الشوكانى ١/ ٥٧٣ .

ونفذ أحمد بن محمد المعروف بابن المنير السكندرى (٦٢٠ـ ٦٨٣/١٢٢٣ـ ١٤٨٤) مـــن خلال كلام الزمخشرى، فبرر القول بالتوطئة ، وقال : الزمخشرى لم يذكـــر مانعا من ذلك سوى مجيئها لغير هذا المعنى فى الإثبات. وهو لا يأبى مجيئها فى النفى على الوجه الآخر من التوطئة .

ولم تسمع زيادتها مع القسم بالله إلا إذا كان الجواب منفيا. فدل ذلك على أنها معه زائدة موطئة للنفى الواقع فى الجواب .

ولا تكـــاد تجدهـــا فى غير الكتاب العزيز داخلة على قسم مثبت. وإنما كثر دخولها على القسم وجوابه نفى، كقول امرئ القيس٠٠٠إلى مالا يحصى كثرة[1].

وصـــرح الزمخشـــرى : المعنى أنه لا يقسم بالشىء إلا إعظاما له . فكأنه ـــ بإدخالـــه حرف النفى ـــ يقول : إن إعظامى له ـــ بإقسامى به ـــ كَلاَ إعظام . إنه يستأهل فوق ذلك [2].

ورأى د ٠ محمد أبو النور الحديدى أن هذا الرأى لا يخلو من بعد [3].

وأعـــلن الرازى أنه يمكن تقدير وجه آخر فيه : هو : كأنه ـــ تعالى ـــ يقول : لا أقسم بهذه الأشياء على إثبات هذا المطلوب، فإنه أعظم وأجلّ من أن يُقسَم عليه بها . ويكون الغرض من هذا الكلام تعظيم المقسم عليه وتفخيم شأنه [4].

---

(١) الآلوسى ٥ / ٧٠ ـــ ١ .

(٢) الكشاف ٤/ ٦٥٨ ـــ ٩ . ابن هشام ١/ ٢٧٥ ـــ ٦ . الآلوسى ٢٩ / ١٧٠ ـــ ١ . حمودة ٢٦ . وأتى به غير منسوب : الشوكانى ٥/ ٣٣٢ .

(٣) البيـــــــــان ٨٨ .

(٤) مفاتيح ٣٠ / ١٩٠ . وانظر ٢٩ / ١٦٣ .

وروى أبو حيان أنه قد قيل فى قسم سورة النساء : (لا) الأولى نافية ، والقسم معترض بينها وبين ما تنفيه، و (لا) الثانية زائدة [1] .

ونقـــل حسن محمد موسى أن محمد عبده قال : إن هذا الأسلوب يؤتى به إذا أُريد تأكيد المقسم عليه، وتعظيم المقسم به . كأن المقسم عليه فى ثبوته وظهوره لا يحتاج إلى قسم، والمقسم به ــ فى نفسه ــ عظيم لا يحتاج إلى تعظيم [2] .

٣ ـ لا ناهيـــــة

ونقـــل ابـــن الجـــوزى عن على بن محمد الماوردى (٣٦٤ــ٩٧٤/٤٥٠ــ١٠٥٨) أنه قال فى تفسير ﴿ فَلاَ أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴾ : (لا) للنهى ، وتقدير الكلام : لا تكذبوا ، ولا تجحدوا ما ذكرته من النعم والحجج [3] .

---

(١) البحر ٣/ ٢٨٤ ، ٨/ ٣٨٤ .

(٢) بيان ١٢٦ . وانظر جزء عم ٣٣ .

(٣) زاد ٨ / ١٥٠ . وانظر الرازى ٢٩ / ١٦٣ .

٤ ـ كـــــــلا

قـــال الفراء : كلا صلة للقسم [(١)] بمترلة سوف ، وهى حرف رد فكأنها نعم ولا فى الاكتفاء . وقيل معناها حقا [(٢)] .

وقال الأخفش : معناها الردع والزجر [(٣)] .

وجعلها الطبرى مثل (لا) ـــ عنده ـــ ردا لكلام سابق [(٤)] .

وقصـــرها الزمخشرى مرة على الردع [(٥)]، وجعلها أخرى للردع والتنبيه[(٦)]، وثالثة للإنكار [(٧)] .

---

(١) القـــرطبى ١١/ ١٤٧ ، ١٩ /٨٤ . أبو حيان ٣٧٨/٨ . الشـــوكانى ٥/ ٣٢٨ . الآلوسى ١٦٣/٢٩ .

(٢) القرطبى ١٩/ ٨٤ . وأتى به غير منسوب : الطوســـــى ٢٩ / ١٨٣ ، ٣٠ / ٣٨٠ . البغوى ٨/ ٢٧١ ، ٤٧٩ . الطبرسى ١١٨/٢٩ ، ٣٠ / ١٨٦ ، ٢٣٠ .ابن الـــجوزى ٨/ ٤٠٩، ١٧٦/٩. الرازى ٣٢ /٨٨ . القرطبى ١١/ ١٤٧، ١٩/ ٨٤، ١٢٣/٢٠. أبو حــــــيان ٨/ ٣٧٨ . الشوكانى ٥/ ٣٢٨، ٤٩٢. الآلوسى ٢٩ / ١٦٣ .

(٣) القـــرطبى ١١/ ١٤٧ ـــ ٨ . وأتى به غير منسوب : ابن قتيبة ٥٥٨ . الطوسى ٣٠ /٣٨٠ . الشوكانى ٥/ ٤٦٨ ، ٤٩٢، ٤٩٨ . الآلوسى ٣٠ / ٢٣٩ ـــ ٤٠ .

(٤) جامع ٢٩ / ١٠٢ . القرطبى ١٩/ ٨٤ . الشوكانى ٣٢٨/٥ . وانظر الطوسى ١١٨/٢٩ . الطبرسى ٢٩ / ١١٨ . القرطبى ١٤٧/١١ ، ١٨٤/٢٠ .

(٥) الكشـــاف ٤/ ٦٤٨ ، ٦٥٣، ٧٧٧ ـــ ٩ ، ٧٩٦ . أبو حيان ٣٧٨/٨ ، ٤٩٣ ، ٤٩٥ ، ٥١٠ . وأتى به دون نسبة : الرازى ١٨٣/٣٠ ، ٣٢ /٢٣ ، ٢٦، ٨٨. الشـــــــوكانى ٥/ ٤٦٩ . الآلوسى ١٦٣/٢٩ ، ٣٠ / ٢٩٥ .

(٦) الكشاف ٤/ ٧٩٢ .

(٧) الكشاف ٤/ ٦٥٣ .

ونقل أبو حيان أن بعضهم جعلها استفتاحية [1] .

وقصرها الآلوسى ذات مرة على الزجر [2] .

وانفرد القرطبى بأنه لا يوجد فى النصف الأول من المصحف ذكر لكلا، وإنما جاء ذكرها فى النصف الثانى [3] .

ولا حـظ د . يوسف خليف ـ من الظواهر الأسلوبية ـ اقتران القسم فى القـرآن بـأداة الزجر والردع " كلا " ، وهى من خصائص الأسلوب القرآنى فى المرحلة المكية . وقد ورد ذلك فى خمس آيات كلها مكية :

﴿ كَلاَّ وَالْقَمَرِ ﴾ المدثر ٣٢ .

﴿ كَلاَّ لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ﴾ العلق ١٥ .

﴿ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ * ثُمَّ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ التكاثر ٣ .

﴿ ثُمَّ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ التكاثر ٤ .

﴿ كَلاَّ لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ﴾ الهمزة ٤ [4] .

---

(١) البحر ٨ / ٣٧٨ . الشوكانى ٥/ ٤٩٨ . الآلوسى ٢٩ / ١٦٣ .

(٢) روح ٢٩ / ١٦٣ .

(٣) الجامع ١١ / ١٤٧ .

(٤) دراسات ١١٠ .

ب ـ دخول اللام على القسم

ووردت قراءة للآيات ، تقتصر على اللام ، وتطرح الألف ، وتجعل الآيات : ﴿ لأُ قْسِمُ ﴾.

وقد نسب ابن الجوزى وحده هذه القراءة لابن عباس [1] ولمجاهد بن جبر[2]، وعكـرمة بـن عبد الله [3]. ولكن غيره من العلماء نسبوها إلى الحسن البصرى . وكـان منهم من اكتفى بنسبتها إليه وحده [4]. ومنهم من جعل الحسن واحـدا من أصحاب هذه القراءة [5].

١ ـ لام قسـم

وأقـدم من أجاز كونها لام قسَم الفراء، وإن كان أجازه على ضعف، أشعر به فى عبارته التى قال فيها :كان بعض من لم يعرف هذه الجهة [يريد تفسير النفى] ـ فيما نـرى ـ يقـرأ ﴿لأَ أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ ، وهو صواب ، لأن العرب تقول: لأحلف بالله ليكونن كذا وكذا . يجعلونه لا ما بغير معنى (لا) [6] .

(١) زاد ٨ / ٤١٥ .

(٢) زاد ٨ / ٤١٥ ، ٩ / ١٢٦ .

(٣) زاد ٨ / ٤١٥ ، ٩ / ١٢٦ .

(٤) الفراء ٣ / ٢٠٧ . الزمخشرى ٤ / ٤٦٨ . الرازى ٣٠ / ١٩٠ . ابن الجوزى ٨ / ١٥٠ . أبو حيان ٨ / ٣٢٨ .

(٥) الطبرى ٢٩ / ١٠٨. ابن جنى ٢/ ٣٠٩ . الطوسى ١٠/ ١٨٩ . ابن الجوزى ٨/ ٤١٥ . القرطبى ١٧/ ٢٢٣ ، ٩٢/١٩ ، ٢٠ /٥٩ . أبو حيان ٢١٣/٨ ، ٣٢٨ . الآلوسى ٢٧ / ١٥٢ .

(٦) معـانى ٣/ ٢٠٧ . وانظـر الطبرسى ٢٩/ ١٢١ ، ١٢٣ . الرازى ١٩٠/٣٠ . القـرطبى ٩١/١٩ . الآلوسى ١٥٢/٢٧ ، ١٧١/٣٠ .

وطعن أبو عبيدة فى هذه القراءة وقال : لو كان المراد هذا ، لقال لأقسمن، لأن العرب لا تقول : لأفعل كذا ، وإنما يقولون : لأفعلن كذا [1].

وجعلها الطبرى لام القسم [2]، وإبراهيم بن السرى الزجاج (٢٤١ — ٣١١/ ٨٥٥ — ٩٢٣) لام القسم والتوكيد[3] .

وجعلها الطوسى لام تأكيد فقط [4].

ونقل الطبرسى عن أبى على الفارسى أنه رفض أن تكون اللام للقسم ، لأن القسم لا يدخل على القسم [5].

ووافق الزمخشرى على صحة القراءة، واحتج بأن الآيات كانت فى مصحف عثمان المعروف بالمصحف الإمام لاما بغير ألف [6] .

ولكنه اعترض على القول بأنها للقسم ، محتجا بأمرين يعودان إلى ما قاله أبو عبيدة ، وهما :

١ - حق لام القسم أن يقرن بها النون المؤكدة ، والإخلال بها ضعيف قبيح .

٢ - أن (لأفعلن) فى جواب القسم للاستقبال ، وفعل القسم يجب أن يكون للحال [7].

---

(١) الرازى ١٩٠/٣٠ ولم أجده فى مجاز القرآن . وانظر الطوسى ١٨٩/١٠ . الزمخشرى ٤/ ٤٦٨ . الطبرسى ١٢١/٢٩ ، ١٢٣ . ابن الجوزى ٤١٥/٨، ١٢٦/٩ . القرطبى ١٧/ ٢٢٣ . الآلوسى ٢٧ / ١٥٢ ، ٣٠/ ١٧١ .

(٢) جامع ٢٩ / ١٠٨ . وانظر الآلوسى ٣٠ / ١٧١ .

(٣) ابن الجوزى ٨ / ٤١٥ .

(٤) التبيان ١٠/ ١٨٩ . الطبرسى ٢٩ / ١٢١ ، ١٢٣ . الآلوسى ٢٩ / ١٧١ .

(٥) مجمع ٢٩ / ١٢٣ .

(٦) الكشاف ٤/ ٦٥٩ . الرازى ٣٠ / ١٩٠ .

(٧) الكشاف ٤/ ٤٦٨ . أبو حيان ٨/ ٢١٣ . وانظر الآلوسى ٢٧ / ١٥٢ .

واتفق الرازى مع المعترضين محتجا بما يلى :

١ – هـــذه القراءة شاذة . فهب أن هذا الشاذ استمر ، فما الوجه فى القراءة المشـــهورة المـــتواترة ، ولا يمكن دفعها وإلا لكان ذلك قدحا فيما ثبت بالتواتر.

٢ – أيضـــا لابـــد من إضمار قسم آخر لتكون هذه اللام جوابا عنه، فيكون التقدير: والله ، لأقسم بيوم القيامة ، فيكون ذلك قسما على قسم . وإنه ركيك، ويفضى إلى التسلسل [١].

ورد أبو حيان على حجتى الزمخشرى فأعلن :

- أمـــا الأمـــر الأول ففيه خلاف . فالذى قاله قول البصريين . وأما الكوفيـــون فيخـــتارون ذلك ، ولكن يجيزون تعاقبهما، فيجيزون : لأضربن زيدا ، وأضرب زيدا.
- وأما الثانى فصحيح ، لكنه هو الذى رجح عندنا أن تكـــون اللام فى ﴿لاَ أُقْسِـــمُ ﴾ لام القســـم ، وأقسم فعل حال . والقسم قد يكون جوابا للقسم كما قال: ﴿وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ الْحُسْنَى﴾ [٢] فاللام فى ﴿وَلَيَحْلِفُنَّ ﴾ جواب قسم ، وهو قسم . لكنه لما لم يكن حلفهم حـــالا بـــل مســـتقبلا ، لـــزمت النون، وهى مخلّصة المضـــــارع للاستقبال[٣] .

---

[١] مفاتيح ٣٠ / ١٩٠ .

[٢] سورة التوبة ١٠٧ .

[٣] البحر ٨ / ٢١٣ . وانظر الآلوسى ٢٧ / ١٥٢ .

٢ ـ لام ابتدائيـــــة

وخـــرّج أبو الفتح عثمان بن جنى القراءة على تقدير مبتدأ محذوف، أى فَلأنا أُقسم [١].

وتـــبعه الزمخشرى وزاد من توضيح كلامه فقال : المعنى فلأنا أقسم . دخلت اللام عـــلى جمـــلة من مبتدأ وخبره ، وهى أنا أقسم ، كقولك : لَزيدٌ منطلقٌ . ثم حذف المبتدأ ، وأدخلت اللام على الخبر (أقسم) [٢].

وأورد الآلوسى اعتراضا على هذا القول ذكر فيه أن المبتدأ إذا دخل عليه لام الابـــتداء يمتنع حذفه أو يقبح ، لأن دخولها لتأكيده ، وهو يقتضى الاعتناء به ، وحذفه يدل على خلافه [٣] .

تكشـــف هذه الجولة أن عبد الله بن عباس وسعيد بن جبير نُسب إليهما أكثر من رأى، بل يتعارض المنسوب إلى الثانى منهما .

وكـــلمة صلة التى أطلقها الرجلان على (لا) كلمة مبهمة، على الرغم من شيوعها بين المفسرين . ولذلك وصفها من روى الطوسى قوله بأنها صلة مؤكدة ، ومن روى الرازى قوله بأنها صلة زائدة [٤].

---

(١) المحتسب ٢/ ٣٠٩ . الطبرسى ١٢٣/٢٩ . أبو حيان ٨/ ٢١٣ . وأتى به غير منسوب : الزمخشرى ٤/ ٤٦٨، ٦٥٩ . القرطبى ١٧/ ٢٢٣ . النيسابورى ٢٩/ ٩٧ . الشـــوكانى ٥/ ١٥٨ . الآلوسى ٢٧/ ١٥٢ ، ٢٩/ ١٧١، ٣٠/ ١٣١ . حمودة ٢٦ .

(٢) الكشاف ٤/ ٤٦٨ ، ٦٥٩ . وأتى به غير منسوب : الرازى ٣٠ / ١٩٠ .

(٣) روح ٢٧ / ١٥٢ .

(٤) انظر الطبرسى ٢٩ / ٢١ . الآلوسى ٢٩ / ١٧٠ أيضا .

وأعـــتقد أنهـــا أطلقت من قبيل التأدب فى وصف ما يتصل بالقرآن ، وأن وصـــف ابـــن عـــباس إياها بأنها مؤكدة، ووصفه هو وسعيد بن جبير بأنها صلة، ووصـــف ابـــن جـــبير بأنها زائدة ، كلها تؤول إلى مدلول واحد، هو الذى صاغه الزمخشرى " زائدة مؤكدة " .

أمـــا كونها زائدة موطئة للنفى فقد دار حوله جدل كثير، بسبب مجىء (لا) فى المقســـم عـــليه المثـــبت أحيانا ، وإن قل كثيرا عن المقسم عليه المنفى . وأقرب الأقوال إلى الشمول فى هذا الصدد كلام ابن المنير .

وجمع ابن قتيبة جمعا غريبا بين القول بأنها صلة ، وقول الفراء بأنها نافية ترد على من كذبوا بيوم القيامة [1].

*****

---

[1] غريب ٤٩٩ .

ج ـ صيغ القســـــم

لم يستخدم القرآن فى ـــ أقسامه ـــ أسلوبا واحدا بل استخدم عدة أساليب ، قال سيبويه : اعلم أن من الأفعال أشياء فيها معنى اليمين، يجرى الفعل بعدها مجراه بعد قولك : والله ، وذلك قولك أقسم لأفعلن ، وأشهد لأفعلن [1] .

فهـــذه الأشياء فيها معنى القسم، ومعناها كمعنى الاسم المجرور بالواو. وتصديق هذا قول العرب : علىّ عهد الله لأفعلن. فعهد مرتفعة، وعلىّ مستقَر لها، وفيها معنى اليمين [2].

ومـــثل ذلك: يعلم الله لأفعلن. فإعرابه كإعراب (يذهب زيد) والمعنى: والله لأفعلن [3].

وقال أبو على الفارسى فى "الحجة" : الألفاظ الجارية مجرى القسم ضربان :

أحدهمـــا : ما تكون جارية كغيرها من الأخبار التى ليست بقسم ، فلا تجاب بجوابـــه . كقوله : ﴿ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [4]و ﴿ فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ﴾ [5]. فهذا ونحوه يجوز أن يكون قسما، وأن يكون حالا لخلوه من الجواب .

---

(1) الكتاب ٣/ ١٠١ . الفراهى ٢٣ .

(2) الكتاب ٣/ ٥٠٣ .

(3) الكتاب ٣ / ٥٠٤ .

(4) سورة الحديد ٨ .

(5) سورة المجادلة ١٨ .

والثانى : ما يتعلق بجواب القسم ، كقوله : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ ﴾ [1] .

وذكـــر الفـــراهى أن الـــيمين والنذر والألية والقسم والحلف كلمات كثر استعمالها للقسم [2] .

وقـــال مـــناع القطان : إذا كان القسم يأتى لتأكيد المقسم عليه ، فإن بعض الأفعـــال يجرى مجراه ، إذا كان سياق الكلام فى معناه . واستشهد بآية آل عمران وغيرها [3].

وقـــال د. بكرى شيخ أمين : ليس ــ إذن ــ للقسم لفظ واحد، وإنما له أساليب متعددة، ودلالات مختلفة، وألفاظ عدة [4].

---

[1] سورة آل عمران ١٨٧ . الزركشى ١/ ٤٥ ــ ٦ . معترك ١/ ٤٥٢ . الإتقان ٢/ ١٧٠ . قمحاوى ٣/ ٢٥ . وأتى به غير منسوب : العمرى ٢٤٩ .

[2] إمعان ١٩ ، ٢٠ . وانظر السامرائى ٤٧ .

[3] مباحث ٣٠٨ .

[4] التعبير ٢٣٨ .

١ ـ الشـــــهادة

فسّـــــر عبد الله بن عباس الشهادة فى آيــة الوصية [١] باليمين [٢]. ونسب ابن الجوزى هذا التفسير إلى مجاهد [٣].

وذكـــــر الطبرى أن للشهادة عدة معان ، ولكن أَولى المعانى بقوله تعالى : ﴿ شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ ﴾ اليمين [٤]. وكذلك فعل فى آيات اللعان [٥]. وعلل التسمية بأنها مأخوذة من قول القائل : أشهد بالله إنه لمن الصادقين فيما رمى به زوجته [٦] .

وذكـــــر القـــرطبى أن أبا بكر عبد الله بن أحمد القفال (٣٢٧ــ ٤١٧/ ٩٣٨ــ١٠٢٦) اختار هذا القول [٧].

---

(١) سورة المائدة ١٠٦ .

(٢) الطبرسى ٧/ ٢٢٨ . أبو حيان ٤/ ٤٦ . الآلوسى ٧/ ٥١ .

(٣) زاد ٤٤٥ .

(٤) جامع ٦٦/٧ ، ٧٩ ، ١٨/ ٦٤ . ابن عطية ٥/ ٨٢ . القرطبى ٦/ ٣٤٨، ٣٥٩ . الطوسى ٤/ ٤٢ . البغوى ٣/ ١٤ . الزمخشرى ١/ ٦٨٨ . ابن العربى ٢/ ٧١٠ ــ ١ . ابن الجوزى ٢/ ٤٤٥ ، ٤٥٢ . الرازى ٣٠/ ٨٣ . أبو حيان ٤/ ٤٠ ، ٤٦ . الآلوسى ٧/ ٥١ ، ٢٨/ ١٠٥ . المنار ٧/ ٢١٩ .

(٥) ســورة النور ٦ ــ ٩ . جامع ١٨/ ٦٤ . البغوى ٣/ ١١٤ . القرطبى ٦/ ٣٤٧، . الآلوسى ٧/ ٥١ .

(٦) جامع ١٨/ ٦٤ . وأتى به دون نسبة : الطوسى ٤/ ٤٢ .

(٧) الجامع ٦/ ٣٤٨ .

وخـــالفهم الطوســـى ورأى تفســـير الشهادة بما يُدلَى به عند الحكام لإقامة الحقوق أقوى وأليق بالقصة [1] .

وذهب الراغب الأصفهانى إلى أن الفعل (شهد) على ضربين :
أحدهما جار مجرى العِلم .

والثانى يجرى مجرى القسم . فيقال أشهد بالله أن زيدا منطلق، فيكون قسما.
ومنهم من يقول : إن قال : أشهد، ولم يقل : بالله ، يكون قسما أيضا [2].

وعلل الطبرسى التسمية بأن اليمين كالشهادة فيما يحلف عليه [3].

واســـتدل الزركشى على تفسير (نشهد) فى سورة المنافقون بـــ (نحلف) بقوله تعالى : ﴿آتخذوا أيمانهم جُنَّة ﴾ [4].

وذكـــر عبد الحميد الفراهى أن للقسم كلمات لم تذهل عن معانيها الأصلية، أى لم تفقدها .

---

(1) التبيان ٤/٤٢ . وأتى به دون نسبة : الطبرسى ٧/ ٢٢٢ . ابن عطية ٥/٨٣ . القـــــرطبى ٦/ ٣٤٨ .

(2) المفردات ٢٦٨ . وأتى به دون نسبة : المنار ٧/ ٢١٩ .

(3) مجمع ٧/ ٢٢٨ . الآلوسى ٧/٥١ . وأتى به دون نسبة : ابن الجوزى ٢/ ٤٥٢ . القـــرطبى ٦/ ٣٤٨ . أبو حيان ٤/ ٤٦ .

(4) الآيتـــان ١، ٢ . البرهان ٣/ ٤٥ . وانظـــــر معترك ١/ ٤٥٠ . الإتقان ٢/ ١٦٩ . الفراهى ٢٣. القاضى ٨٤ . المدخل ١/ ٥٠٠ .

وذكـــر مـــنها " الشهادة " . وقال فى تعليل ذلك والبرهنة عليه : لم يكونوا يقسمون إلا على رؤوس الأشهاد، الذين كانوا شهداء على أيمانهم لتأكيدها . فإن الرجل يجتنب أن يجعل نفسه كاذبا فى عيون الناس. وأصل هذا التأكيد أن المرء إذا قـــال : أشـــهد به ، فقد صرح بأنه يقول بعلمه ومشهده لا بسماعه ، فلا يمكن له العذر إن كذب .

ثم ترى صريح قولهم فى أقسامهم : أنا أشهد ، والله يشهد، والله يعلم . وهذا فى أكـــثر الـــلغات . فإنـــا نرى الأمم فى المشرق والمغرب ـــ مع اختلاف كثير فى عـــاداهم ـــ لا يختلفون فى أهم إذا قالوا : الله شهيد على ذلك، أو ما يشبهه ، فقد أرادوا به القسم [1].

ويفصل هذه القضية ما جاء فى القرآن من التصريح بكون الشهادة والإشهاد يمينا ، حيث قال : ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّـــكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ * اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ [2] فسمى الشهادة منهم أيماهم [3].

---

(1) إمعان ٢١ ـــ ٣ ، ٣١ ـــ ٢ .

(2) سورة المنافقون ١ ـــ ٢ .

(3) إمعان ٢٣ . أمين ٢٣٨ .

٢ ـ الـــــلام

اتفق النحاة منذ شيخهم على وجود صلة بين أحد اللامات والقسم، غير أنهم اختلفوا كثيرا فى التعبير عن هذه الصلة .

فقال سيبويه : سألت الخليل عن قوله : لَتفعلن ، إذا جاءت مبتدأة ليس قبلها ما يُحلف به . فقال : إنما جاءت على نية اليمين ، وإن لم يتكلّم بالمحلوف به . ومثل ذلك ﴿ لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لأَمْلأَنَّ ﴾ [1] إنما دخلت على نية اليمين [2] .

وقـــال يحيى بن زياد الفراء (١٤٤ـــ ٢٠٧/٧٦١ ـــ ٨٢٢) : كأن اللام يمين، إذ صارت تُلْقَى بجواب اليمين ، وهو وجه الكلام [3].

وأشهر ما أُطلق عليها وأوسعها انتشارا : لام القسم [4].

---

(١) سورة الأعراف ١٨ .

(٢) الكتاب ٣/ ١٠٦ ، ١٠٨ ، ٤/٢١٧ . وانظر أبو حيان ٢/ ٥١٠ . الفراهى ١٨ ـــ ٩ . أمين ٢٣٨ .

(٣) معانى ١/ ٢٢٥ .

(٤) الأخفش ٥١٤ . الطبرى ٣/ ٢٣٥ ، ٨/ ١٠٣ ، الطوسى ٢/ ٥١٤ ـــ ٥ . الراغب ٤٦٠ . البغوى ٣/ ٢١٩ . ابن عطية ٥/ ٤٥٠ . ابن الجوزى ١/ ٤١٥ ، ٣/ ١٧٨ . الرازى ٨/ ١٠٥ . القرطبى ٧/ ١٧٦ .

ووصفها الطبرى بلام اليمين [1]، والطوسى بالخلف من لام القسم [2]، والزمخشرى بالموطئة للقسم[3] ، والطبرسى بالمتعلقة بالقسم [4]، والرازى بالمتلقية للقسم [5]، والقرطبى بمعتمد القسم [6].

وذكر الراغب الأصفهانى أنها تدخل على الاسم نحو قوله ﴿ يَدْعُو لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ ﴾ [7]وعلى الفعل الماضى نحو﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [8]وعلى الفعل المستقبل ، غير أنه تلزمها إحدى نونى التوكيد نحو ﴿ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ ﴾ [9].

وعلل الآلوسى تسميتها بالموطئة للقسم بأنها تسهل فهم الجواب على السامع[10].

وعلق الفراهى على قول سيبويه قائلا : وعلى هذا الأصل كل ما ترى فى القرآن من لام اليمين [11].

وأحب أن أذكر أن كثيرا من العلماء أورد أكثر من اسم من الأسماء التى ذكرتها، كما تبين التعليقات .

---

(1) جامع ٣/ ٢٣٥ . الفراهى ١٩ . أمين ٢٣٨ .

(2) التبيان ٢/ ٥١٤ ــ ٥ .

(3) الكشاف ١/ ١٧٩ . أبو حيان ٢/ ٥٠٩ ، ٤/ ٥٧٧ . الشوكانى ٥/ ٤٦٩ . الآلوسى ٣/ ٢١٠ ، ٢٣٩/٣٠ .

(4) المحرر ٣/ ١٩٥ . الطبرسى ٣/ ١٢٩ .

(5) مفاتيح ٨/ ١٠٣ .

(6) الجامع ٤/ ١٢٥ .

(7) سورة الحج ١٣ .

(8) سورة يوسف ١١١ .

(9) سورة آل عمران ٨١ .

(10) روح ٣/ ٢١٠ .

(11) إمعان ١٨ ــ ٩ . أمين ٢٣٨ .

٣ ـ مثابة القســـم

وقـــال أبو عبيدة معمر بـــن المثنى (١١٠ـ ٢٠٩ / ٧٢٨ ـ ٨٢٤) عـــن قوله تعالى : ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ ﴾ [١] مجازها مجاز القسم، كقولـــك : والـــذى أخرجك ربك ، لأن (ما) فى موضع (الذى) [٢]. أراد أنها بمثابة القسم .

٤ ـ القســـــم

ونقـــل الرازى عن على بن أحمد الواحدى (١٠٧٦/٤٦٨) قال : إنما سمى الـــيمين بالقسم لأن اليمين موضوعة لتوكيد الخبر الذى يخبر به الإنسان : إما مثبتا للشيء وإما نافيا. ولما كان الخبر يدخله الصدق والكذب، احتاج المخبر إلى طريق بـــه يتوصل إلى ترجيح جانب الصدق على جانب الكذب، وذلك هو الحلف. ولما كانت الحاجة إلى ذكر الحلف إنما تحصل عند انقسام الناس ـــ عند سماع ذلك الخبر ـــ إلى مصـــدق بـــه ومكذب ، سموا الحلف بالقسم. وبنوا تلك الصيغة على أَفْعَل فقـــالوا : أقسم فلان يُقسم إقساما . وأرادوا أنه أكد القسم الذى اختاره ، وأحال الصدق إلى القسم الذى اختاره بواسطة الحلف واليمين [٣].

---

(١) سورة الأنفال ٥ .

(٢) مجاز ١/ ٢٤٠ .

(٣) مفاتيح ١٣ / ١١٧ .

وقـــال الراغب الأصفهانى: أقسم : حلف . وأصله من القسامة، وهى أيمان تُقْسم على أولياء المقتول. ثم صار اسما لكل حَلِف ، قال : ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ ﴾ [1] .

وقال الفراهى : أما القسم فهو ـــ فى أصله ـــ للقطع ، ومنه قسمت الشىء وقسّمته . والقطع يستعمل لنفى الريب والشبهة . ولذلك شواهد كالصريمة والجزم والقـــول الفصل والإبانة والصدع والقطع. فهذا هو الأصل . ثم اختص القسم من بين هذه الألفاظ بشدة الفصل بالقول. واستعماله من باب الإفعال لخاصية المبالغة ، كقولهم : أسفر الصبح [2].

وقـــال مناع القطان : الأقسام : جمع قَسَم ، بمعنى الحلف واليمين. والصيغة الأصـــلية للقســـم أن يؤتى بالفعل أقسم أو أحلف، متعديا بالباء إلى المقسم به . ثم يـــأتى المقسم عليه ، وهو المسمى بجواب القسم ، كقوله : ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لاَ يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ ﴾ [3].

وقال د. شعبان محمد إسماعيل : أما القسم فهو اسم مصدر أو المعنى الحاصل بالمصدر [4].

وقـــال د. يوســـف خليف : اقتصر ورود مادة (ق س م) على الآيـــات المكية [5].

---

(1) سورة النحل ٣٨ . المفردات ٤٠٣ . المدخل ١/ ٤٩٩ . وأتى به غير منسوب : الآلوسى ١٨ / ١٩٩ .

(2) إمعان ٢٠ . أمين ٢٣٨ . وانظر المدخل ١/ ٤٩٩ .

(3) سورة النحل ٣٨ . مباحث ٣٠٠ . وانظر أمين ٢٣٩ . شحاتة ٢٧٢ . السامرائى ٤٦ .

(4) المدخل ١/ ٤٩٩ .

(5) دراسات ٢١٢ .

٥ ـ الألية

ذكر الراغب الأصفهانى أن معّنى آليت حلفت، كقوله : ﴿ وَلاَ يَأْتَلِ أُوْلُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ ﴾ [١]. والأَلْيَّة : الحلف المقتضى لتقصيرٍ فى الأمر الذى يُحلَف عليه . وجُعل الإيلاء فى الشرع للحلف المانع من جماع المرأة [٢] .

وقال الفراهى : ربما كفوا عن شىء من غير شرط ، وسموه ألية ، كما جاء فى القرآن : ﴿ لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ﴾ [٣] ثم توسع استعمالها فصار قولهم آليت مرادف أقسمت . قال طرفة بن العبد :

فآليت لا ينفك كشحى بطانة   لعضب رقيق الشفرتين مهند

وهذا كثير فى كلامهم [٤].

---

(١) سورة النور ٢٢ .
(٢) المفردات ٢٢ .
(٣) سورة البقرة ٢٢٦ .
(٤) إمعان ١٨ ، ٢٠ . أمين ٢٣٨ .

٦ - الحلف

قال الراغب الأصفهاني : الحَلف : أصله اليمين الذى يأخذ بعضهم عن بعض بها العهد ، ثم عُبّر به عن كل يمين ، قال : ﴿وَلاَ تُطِعْ كُلَّ حَلاَّفٍ مَهِينٍ ﴾ [(١)] أى مكثار للحلف، وقال : ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا﴾ [(٢)].

وقـــال الفراهي : وأما الحلف فمعناه القطع والحدة، فيشابه كلمة القسم . يقال : سنان حليف : أى قاطع . ولسان حليف : أى حديد ذلق . وعند الأزهرى: هـــذا مـــأخوذ مـــن الحلف، وهو نبات أطرافه محددة . فقولهم : حلف على أمر، كقولهـــم : قطع به . وهذا هو الأصل. ثم اختص مثل القسم بشدة الفصل والجزم فى القـــول . ولذلك لا يلزمه المقسم به . ألا ترى أنهم إذا عقدوا الموالاة بينهم بأى طـــريق كـــانت سموها حلفا ؟ وقد علمت طرق الحلف المختلفة التى لم يحلفوا فيها بشيء [(٣)].

وصـــرح د. شـــعبان محمـــد إسماعيل: أما الحلف وأصله المحالفة والمعاهدة والـــتعاهد بـــين القوم . وعند حصول التحالف والتعاهد بين الناس يقع توكيدها بالأيمان . فصاروا يطلقون الحلف، ويريدون اليمين نفسه [(٤)].

---

(١) سورة القلم ١٠ .

(٢) سورة التوبة ٧٤ . المفردات ١٢٩ .

(٣) إمعان ٢١ . أمين ٢٣٨ .

(٤) المدخل ١/ ٥٠٠ . وانظر السامرائى ٤٦ .

وأعـــلن د. يوسف خليف : من الظواهر الطريفة أن مادة " حلف " لم ترد إلا فى الآيـــات المدنيـــة، ولم ترد فى المكية إلا فى آية واحدة ، هى : ﴿وَلاَ تُطِعْ كُلَّ حَلاَّفٍ مَهِينٍ ﴾ .

وفى كـــل مواضـــع ورودها جاءت فى مقام الحنث باليمين . ومن هنا لم ترد مقترنة بالله . ولعل ذلك الذى جعل صاحبى لسان العرب والقاموس المحيط وغيرهما مـــن عـــلماء اللغة يذكرون أن الحلف معناه القسم ، غير أن الحلف الذى ورد فى القرآن لا يصح أن يكون مرادفا للقسم . ولعله أيضا هو الذى جعل الزمخشرى فى " أساس البلاغة " يربط بين الحلف والحنث والأيمان الكاذبة [١].

٧ ـ العلـــــــــم

وذهب الراغب الأصفهانى إلى أن علم تجرى مجرى شهد فى القسم. ولذلك يجاب بجواب القسم نحو قول الشاعر

* ولقد علمتُ لَتأتِيَنَّ مَنِيَّتى [٢] *

وقال الفراهى : كان من صريح قولهم فى أقسامهم : الله يعلم [٣].

---

[١] دراسات ١١٢ .

[٢] المفردات ٢٦٨ .

[٣] إمعان ٢٣ ، ٣١ .

٨ ـ العهـــــــد

قال الراغب الأصفهاني :قال تعالى:﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً﴾ [١]
أي أوفوا بحفظ الأيمان [٢].

٩ ـ اليميـــــن

قـــال الراغب الأصفهاني: اليمين ـــ في الحلف ـــ مستعار من اليد، اعتبارا بما يفعله المعاهد والمحالف وغيره، قال : ﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا﴾ [٣] .

وقـــال الفراهي : ربما عبروا عن التأكيد بأخذ اليمين، كما علمنا من أحوال الـــروم والعرب والعبرانيين . فإذا أخذ بعضهم يمين بعض عند المعاهدة ، أفصحوا بعـــزمهم وتأكيده، كأنهم قالوا : إننا قد وصلنا أمرنا ورهنّا به أيماننا . ولذلك سموا القسم يمينا . وربما صرحوا بهذا المعنى كما قال جَسّاس :

سأؤدي حق جاري ويدي رهن فعالي

ومـــن هنا تضمن القسم معنى الكفالة والضمانة. وهذا معلوم وباق في أخذ اليمين للبيعة، وصفق اليد في البيع والشراء [٤].

---

(١) سورة الإسراء ٣٤ .

(٢) المفـــــردات ٣٥٠ .

(٣) سورة القلم ٣٩ . المفردات ٥٥٣ .

(٤) إمعان ١٤ ـــ ٥ . وانظر حسين ٤٥ . القطان ٣٠١ . أمين ٢٣٧ . شـــحاتة ٢٧٢ . المدخل ١/ ٥٠٠ . السامرائي ٤٧ ـــ ٥٠ .

ونرى العبرانيين عبروا عن القسم باليمين . فجاء فى الزبور : « الذين أفواهم تنطق سوءا، ويمينهم يمين كذب » [1].

التفرقة بين الصيغ

لما كانت صيغ القسم متعددة، فقد حاول بعض العلماء التمييز بينها. فقال أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكرى (بعد ١٠٠٥/٣٩٥) : القسم أبلغ من الحلف ، لأن معنى قولنا : أقسم بالله ، أنه صار ذا قسم بالله . والقسم : النصيب. والمراد أن الذى أقسم عليه من المال وغيره، قد أحرزه ودفع عنه الخصم بالله. والحلف من قولك: سيف حليف، أى قاطع ماض . فإذا قلت: حلف بالله ، فكأنك قلت : قطع المخاصمة بالله .

فالأول أبلغ كأنه يتضمن معنى الآخر، مع دفع الخصم ، ففيه معنيان. وقولنا : حلف، يفيد معنى واحدا، وهو قطع المخاصمة فقط. وذلك أن من أحرز الشىء باستحقاق فى الظاهر ، فلا خصومة بينه وبين أحد فيه . وليس كل من دفع الخصومة فى الشىء فقد أحرزه .

واليمين اسم للقسم مستعار. وذلك أنهم ـــ إذا تقاسموا على شىء ـــ تصافقوا بأيمانهم، ثم كثر ذلك حتى سمى القسم يمينا [2].

---

[1] إمعان ١٥ .

[2] الفروق ٤٧ . إسماعيل ٣٧٣ .

وقال الفراهى : ذكرنا أن القسم ربما يهين قدر المرء ويذهب بشرفه . فانظر كيف ينبه القرآن على هذا الأمر ، باستعماله كلمة " الحلف " فيمن يصغر نفسه بيمينه ، ويلح حيث لا يلح شريف. فترى فى سورة براءة ذكر القسم من المنافقين فى سبعة مواضع ، لم يأت به إلا بكلمة الحلف لدناءتهم وكذبهم فى اعتذارهم. وما جاءت هذه الكلمة فى سائر القرآن إلا حيث تشنع لما فيها من قلة المبالاة بشرف النفس، والتروع إلى مايلقيها فى الكذب والإلحاح. ولذلك لما أراد النابغة الذبيانى الغلو فى تضرعه عند النعمان بن المنذر قال :

حلفت، فلم أترك لنفسك ريبة   وليس وراء الله للمرء مذهب

وهو أبلغ الشعراء عند الرهبة . ولذلك قيل : "أشعرهم امرؤ القيس إذا ركب، والأعشى إذا طرب، وعنترة إذا غضب، والنابغة إذا رهب " [1].

---

[1] إمعان ٦٥ .

د - أدوات القسم

أول من تصدى لأدوات القسم الخليل بن أحمد وتلميذه سيبويه . قال الثانى فى كتابه : للقسم والمقسم به أدوات فى حروف الجر .

وأكثرها الواو ، ثم الباء، ويدخلان على كل محلوف به [(١)].

ثم التاء، ولا تدخل إلا فى واحد { هو لفظ الجلالة } [(٢)]، وذلك قولك : والله لأفعلن ، وبالله لأفعلن ، ﴿ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ ﴾ [(٣)].

وقال الخليل : إنما تجيء بهذه الحروف لأنك تضيف حلفك إلى المحلوف به، كما تضيف مررت به بالباء، إلا أن الفعل يجيء مضمرا فى هذا الباب . والحلف توكيد [(٤)].

وقد نقول : تالله ، وفيها معنى التعجب [(٥)].

والواو لازمة لكل اسم يُقسَم به ، والباء [(٦)].

---

(١) ٣/ ٤٩٦ ، ٤ / ٢١٧ .

(٢) ٣/ ٤٩٦ ، ٤٩٩ ، ٤/ ٢١٧ . أبو حيان ٦/ ٣٢١ . وأتى به غير منسوب : الطوسى ٧/ ٢٢٨ . القرطبى ١١/ ٢٩٧ . ابن القيم ١/ ٤٩ . ابن هشام ١/ ١٢٣ . معترك ١/ ٤٥٤ . الإتقان ٢/ ١٧١ . القطان ٣٠١ . أمين ٢٣٩ . شحاتة ٢٧٢ . المدخل ١/ ٥٠١ . خليف ١١٢ . إسماعيل ٣٦٩.

(٣) سورة الأنبياء ٥٧ . الكتاب ٣/ ٤٩٦ .

(٤) الكتاب ٣/ ٤٩٧ .

(٥) الكتاب ٣/ ٤٩٧ . وانظر الزمخشرى٣/ ١٢٢. أبو حيان ٦/ ٣٢٢ . ابن هشام ١/ ١٢٣ . الآلوسى ١٧/ ٦١ .

(٦) الكتاب ٣/ ٤٩٩ .

وعلل الطوسى اختصاص التاء باسم الله بأنها بدل من الواو [1]، والواو بدل من الباء[2] ، فهى بدل من بدل [3].

وميـــز الزمخشـــرى بين هذه الحروف فقال : فإن قلت : ما الفرق بين الباء والتاء ؟

قلت : إن الباء هى الأصل [4]، والتاء بدل من الواو المبدلة منها [5].

وواو القسم مُطَّرح معها إبراز الفعل اطراحا كليا [6]. فكان لها شأن خلاف شـــأن الـــباء: حيث أُبرز معها الفعل وأُضمر[7] . فكانت الواو قائمة مقام الفعل والباء، سادة مسدهما معا . والواوات العاطفات نوائب عن هذه الواو[8] .

---

(1) التبيان ٧/ ٢٢٨ . وانظر الرازى ٢٢/ ١٥٧ . أبو حيان ٦/ ٣٢٢ . الآلوسى ١٧/ ٦١ .

(2) التبيان ٧/ ٢٢٨ . وانظر القرطبى ١٥/ ١٤٣ . ابن القيم ١/ ٤٨ ــ ٩ . معترك ١/ ٤٥٤. الإتقان ٢/ ١٧١ . القطان ٣٠١ . أمين ٢٣٩ . شحاتة ٢٧٢ . المدخل ١/ ٥٠١ . قمحاوى ٣/ ٢٦ . العمرى ٢٤٧ . إسماعيل ٣٦٩ .

(3) التبيان ٧ / ٢٢٨ .

(4) الكشاف ٣/ ١٢٢ . أبو حيان ٦/ ٣٢١ . وأتى به دون نسبة : الـــرازى ٢٢/ ١٥٧ . أبو حيان ٦/ ٣٢٢ . الآلوسى ٦١/١٧ .

(5) الكشاف ٣/ ١٢٢ . وأتى به دون نسبة : الرازى ٢٢/ ١٥٧ . أبو حيان ٦/ ٣٢٢ . الآلوسى ٦١/١٧ . الفراهى ٢٢ .

(6) الكشاف ٤/ ٧٥٨ . وأتى به غير منسوب : أبو حيان ٨/ ٤٨٠ . الآلوسى ١٨٠/٣٠ . إسماعيل ٣٦٩ .

(7) الكشاف ٤/ ٧٥٨ . وأتى به غير منسوب : أبو حيان ٨/ ٤٨٠ . ابن هشام ١/ ١١٢ . الآلوسى ٦١/١٧، ١٨٠/٣٠ . العمرى ٢٤٩ .

(8) الكشاف ٤/ ٧٥٨ . وأتى به غير منسوب : أبو حيان ٨/ ٤٨٠ . الآلوسى ٦١/١٧ . العمرى ٢٤٩ .

وذهب الرازى إلى أنه ليس للقسم — فى الأصل — حرف . لكن الباء والواو استعملتا فيه لمعنى عارض . وذلك لأن الباء التى فى أصل القسم هى الباء التى للإلصاق والاستعانة . فكما يقول القائل : استعنت بالله ، وكتبت بالقلم ، يقول أيضا : أقسمت بالله [1].

ولما كثر القسم فى الكلام ، استُغنى عن ذكره ، على حين لم يكثر غيره من الاستعمالات كثرته، فلم يُستغنَ عنه [2].

ثم خشى المتكلم أن يقع التباس، فأبدل الباء تاء [3]. وبقيت خشية المتكلم أن تلتبس تاء القسم هذه بتاء الخطاب والتأنيث فأبدلها واوا [4].

وعلل أبو حيان عد الزمخشرى الباء أصل حروف القسم بأنها أوسع هذه الحروف، إذ تدخل على الظاهر والمضمر[5]، ويُصرَّح بفعل القسم معها ويحذف [6].

وعلق على قوله إن بعض هذه الحروف مبدل من بعض بأن هذا شيء قاله كثير من النحاة، ولا يقوم عليه دليل . وقد رد عبد الرحمن بن عبد الله السهيلى (٥٠٨ — ٥٨١/ ١١١٤ — ١١٨٥) هذا القول . والذى يقتضيه النظر أنه ليس شيء منها أصلا لآخر [7].

---

(١) مفاتيح ٢٨/ ٢٤٠ .

(٢) مفاتيح ٢٨/ ٢٤٠ . وانظر ابن القيم ١/ ٤٨ .

(٣) مفاتيح ٢٨ / ٢٤٠ .

(٤) مفاتيح ٢٨ / ٢٤٠ — ١ .

(٥) البحر ٦/ ٣٢١ . وانظر ابن هشام ١/ ١١٢ . الآلوسى ١٧ / ٦١ .

(٦) البحر ٦/ ٣٢٢ . وانظر ابن هشام ١/ ١١٢ . الآلوسى ١٧ / ٦١ .

(٧) البحر ٦/ ٣٢٢ . الآلوسى ١٧ / ٦١ .

وعــلى زيادة التعجب فى التاء فقال : نصوص النحاة أن التاء يجوز أن يكون معها تعجب ويجوز ألا يكون [1]، واللام هى التى يلزمها التعجب فى القسم [2].

وقد رأينا آنفا نص سيبويه لا يتفق كل الاتفاق مع ما قاله أبو حيان عن التاء، وإنمــا يتفق معه فى اللام، فقد قال سيبويه : ولا تجيء اللام إلا أن يكون فيها معنى التعجب [3].

وأجمل ابن القيم الآراء فقال : لما كان القسم يكثر فى الكلام اختُصر، فصار فعل القسم يحذَف ، ويكتَفى بالباء. ثم عوِّض من الباء الواو فى الأسماء الظاهرة [4]، والتاء فى اسم الله . وقد نُقل : تَربِّ الكعبة [5].

وتبع ابن هشام أبا حيان فقال : خصت الباء ــ لكونها أصل حروف القسم ــ بما يلى :

- جواز ذكر الفعل معها نحو : أقسم بالله لتفعلن .
- دخولها على الضمير نحو : بك لأفعلن .
- اســـتعمالها فى القسم الاستعطافى نحو : بالله هل قام زيد ؟ أى أسألك بالله مستحلفا [6].

---

(1) البحر ٦/ ٣٢٢ . الآلوسى ١٧ / ٦١ .

(2) البحر ٦/ ٣٢٢ . الآلوسى ١٧ / ٦١ .

(3) ٣ / ٤٩٧ .

(4) التبيان ١ / ٤٨ ــ ٩ . معترك ١/ ٤٥٣ ــ ٤ . الإتقان ٢/ ١٧١ . قمحاوى ٣/ ٢٦ . وأتى به دون نسبة : القطان ٣٠١ . أمين ٢٣٩ .شحاتة ٢٧٣ . وانظر ابن هشام ١/ ٤٠٠. المدخل ١/ ٥٠١ . العمرى ٢٤٧ . إسماعيل ٣٦٩ .

(5) التبيــــان ١/ ٤٩ .

(6) مغنى ١/ ١١٢ . وأتى به دون نسبة : إسماعيل ٣٦٩ .

وســـوغ الآلوسى قول الزمخشرى بأن الواو قائمة مقام الباء بالمناسبة بينهما، من حيث كونهما شفويتين ، ومن حيث أن الواو تفيد معنى قريبا من معنى الإلصاق، على ما ذكره كثير من النحاة [1] .

وعنيت د. عائشة عبد الرحمن بالقسم بالواو بخاصة. فوجدت أن القسم بها فى مســـتهل السور جاء مع : الضحى ، والليل ، والفجر : وليال عشر، والعصر، والـــتين، والزيـــتون، والـــنجم إذا هوى، والعاديات ضبحا ، والنازعات عرفا ، والذاريـــات ذروا ، والصافات صفا ، والسماء والطارق ، والسماء ذات البروج، والشـــمس وضـــحاها ، والطور وكتاب مسطور[2]، وكلها سور مكية . ولم تأت سورة مدنية مبدوءة بهذه الواو [3].

وجـــاء القسم " والليل " وحده ست مرات، يطرد فيها مجىء الواو فى صدر الآيات [4].

ولاحظَ د. يوسف خليف أن " تالله " وردت فى الآيات المكية فقط [5].

---

(1) روح ١٧ / ٦١ .
(2) الإعجاز ٢٢٧ ــ ٨ . وانظر خليف ٩٩ .
(3) الإعجاز ٢٢٨ . وانظر أمين ٢٤٦ . شحاتة ٢٧٨ . خليف ٩٨ .
(4) الإعجاز ٢٢٩ .
(5) دراسات ١١١ ــ ٢ .

تعدد المقسم به

ذهب الخليل بن أحمد الفراهيدى (١٠٠ــ١٧٠/٧١٨ــ٧٨١) إلى أن المقسم به إذا تعدد فالواو التى بين المقسمات بها واو عطف ولا تصلح أن تكون واو قسم أخرى .

روى عمرو بن عثمان المعروف بسيبويه (١٤٨ــ١٨٠/٧٦٥ــ٧٩٦) : قال الخليل فى قوله ــ عز وجل : ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى * وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى * وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ﴾ [1] الواوان الأُخريان ليستا بمنزلة الأولى ، ولكنهما اللتان تضمان الأسماء إلى الأسماء فى قولك :مررت بزيد وعمرو، والأولى بمنزلة الباء والتاء. ألا ترى أنك تقول: والله لأفعلن ، ووالله لأفعلن، فتدخل واو العطف عليها كما تدخلها على الباء والتاء .

قلت للخليل : فلم لا تكون الأخريان بمنزلة الأولى ؟

فقال : إنما أقسم بهذه الأشياء على شيء واحد. ولو كان انقضى قسمه بالأول على شيء ، لجاز أن يستعمل كلاما آخر ، فيكون كقولك: بالله لأفعلن ، بالله لأخرجن اليوم . ولا يقوى أن تقول : وحقّك وحق زيد لأفعلن، والواو الآخرة واو قسم . لا يجوز إلا مستكرها، لأنه لا يجوز هذا فى محلوف عليه ، إلا أن تضم الآخر إلى الأول، وتحلف بهما على المحلوف عليه ، وتقول : وحياتى ثم حياتك لأفعلن . فثم هاهنا بمنزلة الواو [2].

---

(١) سورة الليل ١ ــ ٣ .

(٢) الكتاب ٣/ ٥٠١ . الزمخشرى ١/ ٢٥ . النيسابورى ١/ ١٢٤ . الآلوسى ٢٣ / ٦٤ . وانظر الأخفش ٧٤٠ . ابن هشام ١/ ٤٠٠ .

وعنى الزمخشرى بالفاء الواقعة بين الأقسام المتعددة . فتساءل فى سورة الصافات : فإن قلت : ما حكم الفاء إذا جاءت عاطفة فى الصفات ؟ .

قلت : إما أن تدل على ترتب معانيها فى الوجود كقوله :

يا لهف زيابة للحارث الصا بح فالغانم فالآئب

كأنه قيل : الذى صبح فغنم فآب ؛ وإما على ترتبها فى التفاوت من بعض الوجوه، كقولك: خذ الأفضل فالأكمل ؛ وإما على ترتب موصوفاتها فى ذلك كقوله : رحم الله المحلقين فالمقصرين [1].

وعلق الشوكانى على هذا القول : فى الكل نظر [2].

وقال الرازى : وقع القسم من الله بأمر واحد كما فى قوله : ﴿وَالْعَصْرِ﴾ وبحرف واحد ، كما فى قوله : ﴿ص﴾ .

ووقع بأمرين كما فى قوله : ﴿وَالضُّحَى * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى﴾ وبحرفين كما فى قوله : ﴿طه﴾ .

وبثلاثة أمور كما فى قوله : ﴿ والصافات ... فالزاجرات ... فالتاليات﴾ وبثلاثة أحرف كما فى ﴿ الم ﴾ .

وبأربعة أمور كما فى ﴿الذاريات﴾ ، وبأربعة أحرف كما فى ﴿ المص ﴾ .

وبخمسة أمور كما فى ﴿والطور﴾ ، وبخمسة أحرف كما فى ﴿ كهيعص ﴾.

ولم يقسم بأكثر من خمسة أشياء إلا فى سورة واحدة، وهى (الشمس) ، ولم يقسم بأكثر من خمسة أصول ، لأنه يجمع كلمة الاستثقال [3].

وفى موضع آخر ذكر أنه أقسم ـ فى سورة الشمس ـ بسبعة أشياء [4].

---

(1) الكشاف ٤/ ٣٤ . أبو حيان ٧/ ٣٥١ ـ ٢ . وانظر الآلوسى ٢٣ / ٦٧ .

(2) فتح ٤/ ٣٧٤ .

(3) مفاتيح ٢٨ / ١٢٦ . (٤) مفاتيح ٣١ / ١٧٢ .

و - زيـــــادة إى

قـــال سيبويه : تقول : إى والله ، ونعم والله[1] ، أى أن الاثنين بمعنى واحد فى القسم [2].

وأعـــلن عبد الله بن مسلم بن قتيبة (٢١٣ــ٢٧٦/٨٢٨ــ٨٨٩) أنها بمعنى بـــلى [3]، وأنها لا تأتى إلا قبل اليمين صلة لها [4]، واستشهد بقوله ﴿وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ ﴾ [5].

وقال الراغب الأصفهانى : إى كلمة موضوعة لتحقيق كلام متقدم [6].

وذكر الزمخشرى أنها ترد فى القسم خاصة [7]، كما كان (هل) بمعنى (قد) فى الاستفهام خاصة [8].

---

(1) الكتاب ٣/ ٥٠١ .

(2) الكتاب ٣/ ٥٠١ . وانظر الطوسى ٥/ ٣٩٢ . البغوى ٤/ ١٣٧ . الزمخشرى ٢/ ٣٥٢ . ابن عطية ٦/ ١٦٥ : الطبرسى ١١/ ٦ . ابن الجوزى ٤/ ٣٩ . القـــــرطبى ٨/ ٣٥١ . ابن هشام ١/ ٨٠ . الآلوسى ١١/ ١٣٦ .

(3) تأويل ٤٢٤ .

(4) تأويل ٤٢٤ . وانظر ابن عطية ٦/ ١٦٥ . أبو حيان ٥/ ١٦٩ .

(5) سورة يونس ٥٣ .

(6) المفردات ٣٤ .

(7) الكشاف ٢/ ٣٥٢ . أبو حيان ٥/ ١٦٨ . وانظر الآلوسى ١١/ ١٣٦ .

(8) الكشاف ٢/ ٣٥٢ . أبو حيان ٥/ ١٦٨ . وانظـــر الزركشى ٣/ ٤٤ . الآلوســـى ١١/ ١٣٦ . المنار ١١/ ٢٩٤ .

وصـــرح ابن عطية بأنها يجيء بعدها حرف القسم وقد لا يجيء ، تقول: إى وربى ، وإى ربى [1].

ووصفها القرطبى بأنها كلمة تحقيق وإيجاب وتأكيد [2].

ز ـ اقتران القسم بالشرط

قـــال سيبويه : لوقلت : والله ، إن تأتنى آتكَ ، لم يجز . ولوقلت: والله من يأتنى آته ، كان محالا . واليمين لا تكون لغوا ، لأنها لآخر الكلام وما بينهما لا يمنع الآخر أن يكون على اليمين .

وتقـــول : أنـــا ـــ والله ـــ إنْ تأتنى لا آتِك ، لأن الكلام مبنى على (أنا) . فالقســـم هاهـــنا لغو . فإذا بدأت بالقسم لم يجز إلا أن يكون عليه . ألا ترى أنك تقول : لئن أتيتنى لا أفعلُ ذاك ، لأنها لام قسم [3].

ووضح الزركشى كلام سيبويه فقال :

القســـم والشـــرط يدخل كل منهما على الآخر، فإن تقدم القسم، ودخل الشـــرط بينه وبين الجواب، كان الجواب للقسم، وأغنى عن جواب الشرط. وإن عكس فبالعكس . فأيهما تصدر كان الاعتماد عليه ، والجواب له .

---

(1) المحرر ٦/ ١٦٥ . أبو حيان ٥/ ١٦٩ .

(2) الجامع ٨/ ٣٥١ . وانظر الآلوسى ١١/ ١٣٦ .

(3) الكتاب ٣/ ٨٤ .

ومن تقدُّم القسم قــوله :﴿ لَئِنْ لَمْ تَنتَهِ لأَرْجُمَنَّكَ﴾ [1] تقديره : والله لئن لم تنته . . . فاللام الداخلة على الشرط ليست بلام القسم، ولكنها زائدة، وتسمى الموطئة للقسم . ويعنون بذلك أنها مؤذنة بأن جواب القسم منتظر ، أى الشرط لا يصلح أن يكون جوابا، لأن الجواب لا يكون إلا خبرا .

والــذى يدل على أن الجواب للقسم لا للشرط دخول اللام فيه ، وأنه ليس بمجزوم؛ بدليل قوله ﴿ لَئِنْ اجْتَمَعَتْ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِه ﴾ [2]. ولو كان جواب الشرط لكان مجزوما [3].

ح ـ القسم بالجموع والأفراد

ولاحظ الرازى أن القرآن أقسم فى بعض السور بالجموع كما فى الذاريات، وفى بعضها بأفراد كما فى الطور . وتساءل: ما الحكمة من ذلك ؟ .

وأجاب : فى أكثر الجموع أقسم بالمتحركات. والريح الواحدة ليست بثابتة مســتمرة حتى يقع القسم بها، بل هى متبدلة بأفرادها، مستمرة بأنواعها. والمقصود لا يحصـــل إلا بالتــبدل والتغير فقال ﴿ وَالذَّارِيَاتِ ﴾ إشارة إلى النوع المستمر إلى الفــرد المعين المستقر . وأما الجبل فهو ثابت قليل التغير، والواحد من الجبال دائم زمانا ودهرا. فأقسم فى ذلك بالواحد. وكذلك قوله ﴿ وَالنَّجْمِ ﴾ [4].

---

[1] سورة مريم ٤٦ .

[2] سورة الإسراء ٨٨ .

[3] البرهان ٣/ ٤٦ . وأتى به غير منسوب : القطان ٣٠٦ ــ ٨ .

[4] مفاتيح ٢٨/ ٢٠٦ ــ ٧ . الرازى لعبد الحميد ٢٥٣ .

ط ـ القسم
بجموع السلامة للمذكر والمؤنث

ولاحظ الرازى أن الله أقسم بجموع السلامة المؤنثة فى خمس سور، ولم يقسم بجمـوع السـلامة المذكرة فى سورة أصلا. فلم يقل : والصالحين من عبادى، ولا المقربين ، إلى غير ذلك؛ مع أن المذكر أشرف .

وعـلل ذلـك بأن جموع السلامة بالواو والنون ــ فى الأمر الغالب ــ لمن يعقـل ، وقد ذكرنا أن القسم بهذه الأشياء ليس لبيان التوحيد إلا فى صورة ظهور الأمر فيه ، وحصول الاعتراف منهم به ؛ ولا للرسالة لحصول ذلك فى صور القسم بالحـروف والقـرآن . بقى أن يكون المقصود إثبات الحشر والجزاء . لكن إثبات الحشـر لثواب الصالح وعذاب الطالح. ففائد ذلك راجع إلى من يعقل. فكان الأمر يقتضى القسم بغيرهم [٢].

ى ـ دخول إذا عليه

ولاحظ د. يوسف خليف ظاهرة أسلوبية أخرى، هى ورود (إذا) بعد القسم الصريح فى اثنى عشرة آية كلها مكية. ويلفت النظر فى هذه الظاهرة أن القسم فى هذه الآيات كلها بمراحل الليل والنهار الزمنية :

﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى ﴾ النجم ١

﴿وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ ﴾ المدثر ٣٤

(٢) مفاتيح ٢٨ / ١٦٧ . الرازى لعبد الحميد ٢٥٣ .

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ * وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ التكوير ١٧، ١٨

﴿وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ ﴾ الانشقاق ١٨

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾ الفجر ٤

﴿وَالْقَمَرِ إِذَا تَلاَهَا * وَالنَّهَارِ إِذَا جَلاَّهَا * وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا﴾ الشمس ٢ـ٤ .

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى * وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى﴾ الليل ١، ٢

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى﴾ الضحى ٢

ونقـــل عن ابن هشام أن (إذا) فى هذه الآيات ظرف للحال . ثم علق على هـــذا قـــائلا : ربما كان الأقرب إلى سياق الآيات أن تكون للدلالة على استغراق الزمن . وكأن الله يقسم بهذه الظواهر الطبيعية ، التى هى من آيات خلقه وقدرته، ليـــلفت النظر إلى أنها متجددة دائما ، وأنها ستظل متجددة على امتداد الزمان كله حتى تقوم الساعة [1].

٣ ـ حذف جزء منه

فطـــن العـــلماء مـــنذ وقت مبكر إلى أن القرآن لا يذكر أحيانا جميع أجزاء القســـم. وتحدثوا عن هذه الظاهرة عند التصدى لتفسير الآيات التى وقعت فيها. وحظى ترك جواب القسم بأكثر حديثهم . ولكن أقدم الإشارات ما أورده سيبويه.

[1] دراسات ١١١ . وانظر ابن هشام ١/ ١٠٠ .

أ- حذف اللام

نقـل الـرازى أن سـعيد بن مسعدة الأخفش (٢١٥/٨٣٠) ذهب إلى أن جواب القسم فى سورة البروج ﴿ قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ ﴾ وفى سـورة الشمس ﴿ قَـدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴾ وأن اللام ـ التى كان من الواجب أن تدخل على الفعل فيهما ـ مضمرة فيهما[1] .

ونقل أيضا أن إبراهيم بن السرى الزجاج (٢٤١ـ ٣١١/٨٥٥ ـ ٩٢٣) علل هذا الإضمار بأن الكلام طال فصار طوله عوضا عن اللام [2].

وذكر الزركشى أن هناك من رأى أن المحذوف من سورة البروج (لقد) [3] .

وعلل الآلوسى ذلك بأن الفعل الماضى المثبت المتصرف الـذى لم يتقدم مفعولـه، إذا وقع جوابا للقسم، تلزمه اللام وقد، ولايجوز الاقتصار على إحداهما إلا عـند طـول الكلام [4]. ولا يجوز تقدير اللام بدون (قد) لأنها لا تدخل على الماضى المجرد منها [5].

---

(١) مفاتيح ٣١/ ١٠٧ . ونسبه إلى الفراء : القرطبى ٢٨٤/١٩ . الشـوكانى ٥/ ٤٠٨ .
وأتى به غير منسوب: الطوسى ١٠/ ٣٥٨ . القرطبى ٣/١٧ .

(٢) مفاتيح ٣١/ ١٠٧ . ابن الجوزى ٩/ ١٤١ . القرطبى ٢٠/ ٢٨٤ . الشوكانى ٤٤٥/٥ .
وأتى به غير منسوب : الآلوسى ١١١/٣٠ . عبده ٦٢ . القطان ٣٠٥ . أمين ٢٤٥ .

(٣) البرهان ٣/ ٤٥ . الشوكانى ٥/ ٤٠٨ . الآلوسى ١١١/٣٠ . وأتى به غير منسـوب : القطان ٣٠٥ .

(٤) روح ٣٠ /١١١ . وأتى به غير منسوب : القطان ٣٠٥ . أمين ٢٤٥ .

(٥) روح ٣٠ / ١١١ .

ب ـ حذف المقسم عليه

قال الطبرى عن القسم فى سورة البروج : أولى الأقوال فى ذلك ــ عندى ــ بالصـــواب قـــول من قال : جواب القسم فى ذلك متروك، والخبر مستأنف، لأن علامة جواب القسم لا تحذفها العرب من الكلام إذا أجابته [١].

ونقـــل أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن على الجوزى (٥٠٨ــ٥٩٧/ ١١١٤ــ١٢٠١) عن أبى بكر محمد بن القاسم الأنبارى(٢٧١ــ ٣٢٨/ ٨٨٤ ــ٩٤٠) أنـــه عـــد الحروف المفردة فى صدو سورة البقرة قسما، جوابه محذوف. تقديره: وحروف المعجم، لقد بيَّن الله لكم السبيل، وأنهج لكم الدلالات بالكتاب المنزل. وإنما حذف لعلم المخاطبين به، ولأن فى قوله : ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ ﴾ دليلا على الجواب [٢].

وذكـــر الطوسى أن هناك من قال عن القسم فى صدر سورة القيامة: جواب القسم محذوف، وتقديره : ما الأمر على ماتتوهمون [٣].

---

(١) جامع ٣٠ / ٨٦ . وانظر ابن الجوزى ٨/ ٧٤ .

(٢) زاد ١/ ٢٠ ــ ١ . وانظر الرازى ٢٨/ ١٤٨ ــ ٩ . ابن القيم ١/ ٤٨، ٥٦، ٥٨ . الزركشى ٣/ ٤٤ . الفراهى ١١ . خليف ١٠٨ .

(٣) التبيان ٩/ ٣٥٤ ، ١٠ / ١٩٠ ، ٢٥٣ ، ٣١٦ .

وعـــبارة (جواب القسم محذوف) هى العبارة التى شاعت فى التفاسير، بحيث تضيع محاولة إحصائها عبثا [1].

وأبان الرازى أن القرائن التى تبيح حذف جواب القسم نوعان :

قرينة مقالية، وهى إما أن تتقدم على المقسم به أو تتأخر عنه .

وقرينة حالية .

ثم نـــاقش القسم فى صدر سورة (ق) على ضوء هذا التصور ـــ بعد أن رأى أن جوابه محذوف ـــ فقال :

إن قلـــنا : إن المقسم عليه مفهوم من قرينة مقالية متقدمة ، فلا متقدم هناك لفظـــا إلا ﴿ ق ﴾ فيكـــون الـــتقدير : هذا ﴿ ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيد ﴾ أو ﴿ ق ﴾ أنـــزلها الله ﴿ وَالْقُـــرْآنِ الْمَجِيد﴾ ، كما تقول : هذا حاتم والله ، أى هو المشهور بالسخاء، أو تقول : الهلال رأيته والله .

وإن قلنا بأنه مفهوم من قرينة مقالية متأخرة ، فنقول : ذلك أمران :

أحدهما المنذر .

والثانى الرجع .

فيكـــون الـــتقدير: والقـــرآن المجيد إنك المنذر، أو والقرآن المجيد إن الرجع لكائن، لأن الأمرين ورد القسم عليهما ظاهرا .

---

[1] انظر على سبيل المثال : البغوى ٧/ ٦٩ ، ٣٥٥ ، ٣٢٥/٨ . الزمخشرى ٤/ ٦٤٧، ٧٢٩ . الطبرسى . ٢٣ /٩٥ ، ٢٢/٣٠ ، ١٢٦ . ابن الجوزى ٩٩/٧ ، ٥/٨ ، ١٨/٩، ١٤١ . الرازى ١٥٢/٢٦ ، ٣١ /٣٣ ،١١٦، ١٦٥. القرطبى٨١/٢٠. أبو حيان ٤٢٨/٨، ٤٥٠، ٤٦٨ . ابن القيم ١/ ٢١٩ . ابن كثير ٤/ ٢٣٧.النيسابورى ٦٠/٣٠ .الشوكانى ٤/ ٥٧٤ ، ٣٦٩/٥، ٤٠٨ ، ٤٤٥ . الآلوسى ١٧٢/٢٦ ، ٣٠/ ٢٩ . القطان ٣٠٥ . خليف ١٠٧.

أما الأول فيدل عليه قوله :﴿ يس * وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ * إِنَّكَ لَمِنْ الْمُرْسَلِينَ ﴾ إلى أن قال ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ﴾ [1].

وأما الثانى فدل عليه ﴿ قوله وَالطُّورِ * وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ﴾ إلى أن قـــــال : ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ﴾ . وهذا الوجه يظهر غاية الظهور على قـــول من قال : ﴿ ق ﴾ اســـم جـــبل . فـــإن القســـم يكون هنا بالجبل والقرآن، وهناك بالطور والكتاب، وهما الجبل والقرآن .

فإن قيل : أى الوجهين منهما أظهر عندك ؟

قلت : الأول ، لأن المنذر أقرب من الرجع، لأن الحروف رأيناها مع القرآن والمقسم كونه مرسلا ومنذرا، وما رأينا الحروف ذُكرت وبعدها الحشر.

وأمـــا إن قلـــنا: هـــو مفهوم بقرينة حالية، فهو كون محمد ﷺ على الحق ، ولكلامه صفة الصدق. فإن الكفار كانوا ينكرون ذلك .

والمختار ما ذكرناه [2].

ولـــما رأى الاستدراك فى الآية الثانية فسره بأن قال : كأنه قال: وإنهم شكوا فيـــه، فأضرب عنه وقال : ﴿بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ ﴾ يعنى لم يقتنعوا بالشك فى صـــدق الأمر وطرحه بالترك وبُعد الإمكان، بل جزموا بخلافه حتى جعلوا ذلك من الأمور .

وعندئذ تنبه إلى ما يكون ـــ على هذا التفسير ـــ فى الكلام من حذف فقال: فإن قيل : فما الحكمة فى هذا الاختصار العظيم : فى موضع واحد، ولا يفهم ـــ مع الفكر ـــ إلا بالتوفيق العزيز ؟

---

(1) مفاتيح ٢٨ / ١٢٨ ـــ ٩ .

(2) مفاتيح ٢٨ / ١٢٩ .

فـنقول : إنما حُذف المقسم عليه لأن التَّرك فى بعض المواضع يُفهم منه ظهورٌ لايُفهـم مـن الذّكر . وذلك لأن من ذكر الملك العظيم فى مجلس ، وأثنى عليه ، يكـون قد عظَّمة . فإذا قال له غيره: هو لا ُيذكَر فى هذا المجلس، يكون بالإرشاد إلى ترك الذكر دالا على عظمته فوق ما يستفيد صاحبه بذكره .

وناظـر ابن القيم بين حذف جواب القسم وحذف جواب الشرط. فقال : وهـو ـ سبحانه ـ يذكر جواب القسم تارة ـ وهو الغالب ـ وتارة يحذفه كما يحذف جواب (لو) كثيرا، كقوله : ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى رَبِّهِمْ ﴾ [1]. ومثل هذا حذفه من أحسن الكلام، لأن المراد أنك لو رأيت ذلك لرأيت هَوْلا عظيما . فليس فى ذكر الجواب زيادة على مادل عليه الشرط [2].

وهـذه عادة الناس فى كلامهم : إذا رأوا أمورا عجيبة، وأرادوا أن يخبروا بها الغائب عنها، يقول أحدهم : لو رأيت ماجرى يوم كذا، بموضع كذا [3].

وأمـا القسم ، فإن الحالف قد يحلف على الشىء ثم يكرر القسم ، فلا يعيد المقسم عليه ، لأنه قد عُرف [4].

وأبـان أن هناك مواضع معينة ، يحذف فيها المقسم عليه . فذكر أن الجواب يحذف تارة، ولا يراد ذكره ، بل يراد تعظيم المقسم به، وأنه مما يحلف به[5] . وتارة يحذف الجواب وهو مراد، إما لكونه قد ظهر وعُرف :

---

(1) سورة الأنعام ٣٠ . التبيان ٤٦ ـ ٧ . معترك ١/ ٤٥٣ . الإتقان ٢/ ١٧١ . وأتى به دون نسبة القطان ٣٠٤ . أمين ٢٤٤ . شحاتة ٢٧٤ . العمرى ٢٤٧ .

(2) التبيان ٤٧ . وأتى به غير منسوب . القطان ٣٠٤ . أمين ٢٤٤ .

(3) التبيان ٤٧ .

(4) التبيان ٤٨ .

(5) التبيان ٥٧ . الفراهى ١١ . خليف ١٠٨ .

إما بدلالة الحال ، كمن قيل له : كلْ، فقال: لا والله الذى لا إله إلا هـــــو أو بدلالة السياق [1].

وأكـــثر مايكون هذا ــ يريد دلالة السياق ــ إذا كان فى نفس المقسم به ما يدل على المقسم عليه . وهى طريقة القرآن . فإن المقصود يحصل بذكر المقسم به فيكـــون حذف المقسم عليه أبلغ وأوجز، كمن أراد أن يقسم على أن الرسول حق فقـــال: والـــذى أرسل محمدا بالهدى ودين الحق، وأيده بالآيات البينات، وأظهر دعوته، وأعلى كلمته، ونحو ذلك [2].

وكمـــا سمـــى آنفا حذف جواب القسم " طريقة القرآن " ، قال فى موضع آخـــر: وهذا مطرد فى كل ما شأنه ذلك [3]. بل بلغ به الأمر أن قال عن القسم فى ســـورة الانشـــقاق : إنه لا يحتاج إلى جواب، فإن المقسم عليه ــ عنده ــ معلوم متعين [4]. وعـــن القسم فى سورة البروج : الأحسن أن يكون هذا القسم مستغنيا عن الجواب، لأن القصة للتنبيه على المقسم به، وأنه من آيات الرب العظيمة [5].

ورأى الزركشى أنهم تارة يحذفون من القسم للاختصار وللعلم بالمحذوف[6].

وفطـــن عبد الحميد الفراهى إلى أن حالة المخاطب هى التى جعلت القرآن يـــبقى جـــواب القســـم أو يحذفه . قال : إن كان جواب القسم مما ينتبه الخصم

---

(1) التبيان ٥٨ .

(2) التبيان ٥٨ . معترك ١/ ٤٥٤ ــ ٥ . الإتقان ٢/ ١٧١ . القاضى ٨٧ . قمحاوى ٣/ ٢٧ . رضا ١٧٠ . وانظر بدوى ١٧٢ . القطان ٣٠٥ . أمين ٢٤٤ . المدخل ١/ ٥٠٢ . العمرى ٢٥٠ . خليف ١٠٧ .

(3) التبيان ٦٠ . معترك ١/ ٤٥٥ . الإتقان ٢/ ١٧١ . بدوى ١٧٢ .

(4) الفراهـــى ١١ .

(5) التبيان ١/ ١٨٦ . الفراهى ١١ . وأتى به غير منسوب : القطان ٣٠٥ .

(6) البرهان ٣/ ٤٤ .

لإنكاره فتارة يصرف الخطاب إلى النبى كقوله : ﴿يس * وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ * إِنَّكَ لَمِــنْ الْمُرْسَــلِينَ ﴾ وتارة يحذف جواب القسم الذى يكون جملة خبرية. فحينئذ يكتفى بالمقسم به ، ويبادرهم بكلام آخر مؤيد لما حذف، لكيلا يجد الخصم فرصة لتحويل الإنشاء إلى الخبر، فينازع فيه ، ولكى يجد الكلام فرصة فيه ، فيستمع — بعــد القســم — لمــا ينتظر جوابه ، فيهجم عليه ما يؤيد الاستدلال المقصود من الكــلام الســابق، كقوله : ﴿ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ * بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِــقَاقٍ﴾ فأكتفى بالجملة الإنشائية، واجتنب الخبرية، وقد فرغ عنها بما ذكر فى القسم من صفة القرآن، كأنه قيل : قد شهد القرآن أنه لذكر ونصح لهم . ثم ذكر من خصائلهم مالا ينكرونها بل يباهون بها. وأشار إلى أن إنكارهم ليس إلا لحميتهم الجاهلية وجدالهم بالحق .

فأما إذا كان القســـــــم مما لا ينكرونه لم يحذف الجــــواب كقوله : ﴿حــم * وَالْكِــتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [1] فذكر فى القسم كونه كتابا مبينا، وفى الجواب كونه قرآنا عربيا. ولا ينكرون شيئا منهما[2].

ولاحظ د. يوسف خليف أن هذا الحذف لم يرد إلا فى الآيات المكية[3] .

---

(1) سورة الزخرف ١ — ٣ .
(2) إمعان ٤٩ — ٥٠ .
(3) دراسات ١٠٧ .

ج ـ حذف فعل القسم

قال ابن القيم : لما كان القسم يكثر فى الكلام ، اختُصر فصار فعل القسم يُحذف ، ويكتفى بالأداة [1].

وقال الزركشى : أكثر الأقسام المحذوفة الفعل فى القرآن، لا تكون إلا بالواو. ولا تجيء الباء والفعل محذوف إلا قليلا. وعليه حمل بعضهم قوله ﴿يَابُنَيَّ لاَ تُشْرِكْ بِاللَّه﴾ [2]. وقال :الباء باء القسم ، وليست متعلقة بـ (تشرك) وكأنه يقول : يا بنى . بالله : لا تشرك [3].

وخالف السيوطى الزركشى وأعلن : لا تجد الباء مع حذف الفعل . وخطّأ من قال بغير ذلك[4] .

---

(1) التبيان ٤٨ . معترك ١/ ٤٥٣ ــ ٤ . الإتقان ٢/ ١٧١ . قمحاوى ٣/ ٢٥ . وأتى به دون نسبة : القطان ٣٠١ . أمين ٢٣٩ . شحاتة ٢٧٣ . العمرى ٢٤٧ .

(2) سورة لقمان ١٣ .

(3) البرهان ٣/ ٤٣ ــ ٤ . وأتى به غير منسوب : معترك ١/ ٤٥٣ . الإتقان ٢/ ١٧٠ . قمحاوى ٣/ ٢٥ .

(4) معترك ١/ ٤٥٣ . الإتقان ٢/ ١٧٠ . وانظر حسين ٤٥ .

د - حذف المقسم به

قال الزركشي: مما حذف فيه المقسم به قوله: ﴿قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ﴾ [1] أى نحلف إنك لرسول الله [2].

وذهـب عـبد الحميد الفراهى إلى أننا لا نحتاج إلى تقدير المقسم به فى كل موضـع . وعـلى هذا الأصل كل ما ترى فى القرآن من لام اليمين . وإذا جاءت قبـلها كلمة تدل على اليقين والجزم كانت مشابهة بكلمة القسم ، كقـوله : ﴿ قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ * لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ ﴾ [3]. فليس لك أن تقدر مقسما به فى هذه الأمثلة التى ذكرناها ولا يليق بها، كما يظهر من سياق الكلام . فكل ما ذكرنا مـن طريق اليمين والحلف وتعبيراته يدلك على أن المقسم به ليس من لوازم القسم حـتى تقدره كلما لم يذكر. إنما أرادوا بالقسم تأكيدا محضا للقول، أو إظهار عزم ألزموا به أنفسهم فعلا أو تركَ فعل [4].

وقال أيضا : ولا يلزم الإقسام أن يكون له مقسم به ، سواء كان على خبر أو عقد. كما قال طرفة فى معلقته :

* أقسم ربها لتكتنفن *

وهذا كثير فى كلام العرب .

---

[1] سورة المنافقون ١ .

[2] البرهان ٣/ ٤٥ .

[3] سورة ص ٨٤ ـ ٥ .

[4] إمعان ١٩ .

وجـــاء فى القرآن : ﴿ أَهَؤُلاَءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لاَ يَنَالُهُمْ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ﴾ [1] فإن قيل : إن المقسم به مقدر وهو الله .

قلنا : إن أردت الاحتمال فلا ننكره، إنما قولنا إنه غير لازم . فلقد رأينا أن القسم يكون بالله وبغيره . وربما يكون مجردا عن المقسم به . وحينئذ لا يراد به إلا التأكيد والجزم المحض [2].

تبين ــ مما مر بك ــ أن القسم لا يلزمه المقسم به [3] .

هـ ـ حذف الفعل والأداة

وقـــال الزركشـــى : مما يحذفونه فعل القسم وحرف الجر، ويكون الجواب مذكـــورا ، كقوله : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ ﴾ [4] أى والله ، وقـــــوله : ﴿ لأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ ﴾ [5].

وبـــرر محمد الخضر حسين الحذف بوجود قرينة تدل على القســــم ، وهى اللام [6].

وصـــرح د. شـــعبان محمد إسماعيل بأن الحذف ــ فى هذه الأقسام ــ شمل المقسم به إلى جانب ما ذكروه [7] .

---

(1) سورة الأعراف ٤٩ .

(2) إمعان ٢٠ ــ ١ .

(3) إمعان ١٨ ــ ٢١ .

(4) سورة الأحزاب ٢١ .

(5) سورة الشعراء ٤٩ . البرهان ٣/ ٤٤ .

(6) بلاغــــــة ٤٦ .

(7) المدخل ١/ ٥٠١ .

الفصـــــل الرابع

الجمال الفنى

أ - التناسب بين المقسم به والمقسم عليه

يـــبدو أن الطبرى وصل ذات مرة ـــ إلى إحساس مبهم وقاصر بوجود صلة بين المقسم به والمقسم عليه . استدل على ذلك بما قاله فى تفسير سورة ص ، عندما وجـــد المفســـرين اختلفوا فى تفسير تسمية القرآن بالذكر، بين الشرف والتذكير، قـــال: وأولى القولين فى ذلك بالصواب قول من قال : معناه ذى التذكير ، لأن الله أتـــبع ذلك قولـــــه : ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾ [1] فكان معلوما بذلك أنـــه إنما أخبر عن القرآن أنه أنزله ذكرا لعباده ذكَّرهم به ، وأن الكفار من الإيمان به فى عزة وشقاق [2].

ولكـــن الـــرازى كـــان أول من أشار صراحة ـــ من مصادرى ـــ إلى هذا التناســـب. قـــال مثلا : فى السورة التى أقسم الله فيها لإثبات الوحدانية، أقسم فى أول الأمـــر بالســـاكنات حيث قال: والصافات . وفى السور الأربع الباقية أقسم بالمـــتحركات، فقـــال : والذاريـــات، والمرســـلات، والنازعات. ويؤيده قوله :

---

[1] سورة ص ٢ .

[2] جامع ٢٣ / ٧٥ .

والسابحات ، فالسابقات ، والعاديات . وذلك لأن الحشر فيه جمع وتفريق، وذلك بالحـــركة أليـــق. أو أن نقول فى جميع السور الأربع أقسم بالرياح. وهى التى تجمع وتفرق. فالقادر على تأليف السحاب المتفرق بالرياح الذارية والمرسلة ، قادر على تأليف الأجزاء المتفرقة ، بطريق من الطرق التى يختارها بمشيئته [١].

وصـــرح الفـــراهى ـــ عن حق ـــ بأن ابن القيم فسر أكثر آيات القسم عن طـــريق يُظهـــر دلالـــة المقسم به على المقسم عليه . فإذا أشكل عليه ذلك ، جعل المقسم عليه محذوفا، وجعل القسم دالا على صفات الله وما ماثلها [٢].

وأمثل لذلك بقوله عن الأقسام فى صورة الشمس: قد أقسم الله بهذه الأشياء التى ذكرها ، لأنها تدل على وحدانيته، وعلى فلاح من طهره، وخسارة من خذله، حـــتى لا يظن أحد أنه هو الذى يتولى تطهير نفسه وإهلاكها بالمعصية، من غير قدر سابق وقضاء متقدم. وهذا أبلغ فى التوحيد الذى سيقت له هذه السورة[٣] . وقال عـــن القسم فى سورة المرسلات: فيه أبين دليل وأظهر آية على صحة ما أقسم عليه وتضمنته السورة [٤].

ولم يكتف ابن القيم بذلك ، بل حاول أن يربط بين الأقسام عند تعددها. قال عـــن القسم فى سورة القيامة : جمع ـــ سبحانه ـــ فى القسم بين محل الجزاء ـــ وهو يـــوم القيامة ـــ ومحل الكسب ـــ وهو النفس اللوامة [٥]. وقال فى سورة الفجر:

---

[١] مفاتيح ٢٨ / ١٦٧ ـــ ٨ . عبد الحميد ٢٥٣ .

[٢] إمعان ١٢ .

[٣] التبيـــان ١/ ٧٧ .

[٤] التبيان ١/ ٢٧٤ ـــ ٥ .

[٥] التبيان ١/ ٦٩ .

افتتح القسم بما يتضمن أول الصلوات { الفجر } ،وختمه بقوله ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾ المتضمن لآخر الصلوات [1].

وعقـــب النيسابورى على القسم فى سورة الضحى قائلا : تأمل مطابقة هذا القسم ـــ وهو نور الضحى الذى يوافى بعد ظلام الليل ـــ للمقسم عليه ، وهو نور الوحـــى الـــذى وافى محمدا بعد احتباسه عنه حتى قال أعداؤه : ودع محمدا ربه . فأقســـم بضوء النهار بعد ظلمة الليل، على ضوء الوحى ونوره، بعد ظلمة احتباسه واحتجابه [2]. ولذلك جعله السيوطى من لطائف القسم [3].

وعـــنى الآلوســـى أيضا بتتبع هذه العلاقات. فقال عن القسم بالسماء ذات الحـــبك : لعـــل النكتة فى ذلك القسم تشبيه أقوالهم فى اختلافها وتنافى أغراضها بطرائق السماوات فى تباعدها واختلاف هيئاتها، أو الإشارة إلى أنها ليست مستوية جيـــدة، أو ليست قويـــــة محكمة، أو ليس فيها مايزينها بل فيها مـــــــا يشينها من التناقض [4] .

ومـــن أجـــل ذلـــك رأينا الفراهى يجعل من أهداف كتابه إبانة أن الإقسام بالمخلوقات وقع من أجل دلالتها لا تعظيمها .

---

(1) التبيان ١/ ٨٧ .

(2) غرائب ٣٠ / ١٢٠ ـــ ١ . وانظـــــر معترك ١/ ٤٥٥ . الإتقان ٢/ ١٧١ . الآلوسى ١٩٥/٣٠ ـــ ٧ . بدوى ١٧٢ ـــ ٣ . قمحاوى ٣/ ٢٨ .

(3) معترك ١/ ٤٥٥ . الإتقان ٢/ ١٧١ . قمحاوى ٣/ ٢٨ . وأتى به دون نسبة : العمرى ٢٥١ .

(4) روح ٢٧ / ٥ .

ووصف د. محمد محمد أبو شهبة ما بين المقسم به والمقسم عليه فى القرآن بالتوافق العجيب غير أنه قد يخفى على غير ذى العقل الذكى، والنظر الشفاف، والحس الدقيق، الذى يحكم على الأشياء بادئ الرأى من غير روية وتفكير [1].

وقال د. محمد بكر إسماعيل : إذا تأملنا فى آيات القسم ، وجدنا الصلة جد قوية بين المقسم به والمقسم عليه، وأدركنا أن بينهما تناسبا وثيقا، بحيث لو جيء مكان أحدهما بشيء آخر لاختل النظام ، وذهبت مواطن الجمال والجلال .

فقد أقسم الله — مثلا — بطوائف من الملائكة على وحدانيته وربوبيته ، لنفى ما زعمه المشركون من وجود صلة نسبية بينه وبينهم فقال :﴿ وَالصَّافَّاتِ صَفًّا * فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا * فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا ﴾ [2].

فقد زعموا أن الملائكة بنات الله ، وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا. فأقسم بهم لبيان وظائفهم ، وتحديد مكانهم، وإثبات كماله فى ذاته ، وبيان أنه الواحد الأحد رب السماوات والأرض وما بينهما .

فلو جيء بمقسم به آخر غير الملائكة ، فقيل مثلا : والذاريات ذروا، أو قيل: والنجم إذا هوى ، لا ختل نظم الكلام، ونسق المعانى، ولذهب وجه فريد من وجوه الإعجاز البيانى [3].

---

(1) المدخل ٢٤٨ .

(2) سورة الصافات ١ — ٣ .

(3) دراسات ٣٧٢ — ٣ .

ب ـ البلاغة والإعجـــاز

كـــان محمـــد بن الطيب الباقلانى أول من تعرض للإعجاز فى أقسام القرآن. ولكنه ـــ لما كان يرفض أن يكون الإعجاز قد حصل فى بعض الوجوه بمفردها، من غـــير أن يقارنها ما يصل به الكلام ويفضى عليه ـــ فقد أنكر أن يقول قائل : إن ما أقســـم بـــه القرآن وحده بنفسه معجز[1].يريد بذلك أن الإعجاز فى النظم العام للقرآن .

وجعـــل الســـيوطى إقسامه فى مواضع لإقامة الحجة وتأكيدها الوجه التاسع والعشرين من وجوه إعجازه [2].

ورأى الآلوســـى فى القسم، فى صدر سورة النجم ، على نزاهته ﷺعن شائبة الضلال والغواية ، من البراعة البديعة ، وحسن الموقع ، مالا غاية وراءه [3].

وعقـــد عـــبد الحميـــد الفراهى فصلا لبعض ما فى القسم من أبواب البلاغة ولطائفهـــا، ذكر فيه أن فى أسلوب القسم معانى مفيدة للاستدلال ، مما يفتح عليه من البلاغة أبوابا، ويلقى عليه من المحاسن جلبابا. وذكر منها :

الأول : إظهـــار الـــتأكيد والجـــد فى القول، كما ترى فى قول المرسلين من النصارى، حيث جاء فى القرآن : ﴿ قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ * وَمَا عَلَيْنَا إِلاَّ الْبَلاَغُ الْمُبِينُ ﴾ [4].

---

(1) إعجاز ٢٧٦ . سلطان ١٠٧ .

(2) معترك ١/ ٤٤٩ . شرف الدين ٩٠ .

(3) روح ٢٧ / ٤٥ .

(4) سورة يس ١٦ ـــ ٧ .

ولذلك كثر القسم فى أوائل النبوة حتى تبين لهم جده .

الثانى : كون القسم إنشاء . وذلك يُبهم طريق الإنكار على الخصم. فإنه — إن شـاء — أنكـر جواب القسم لكونه خبرا . ولكنه لا يسنح له أن ينكر القسم نفسـه لكونه إنشاء . كما إنه لا يتوجه إلى إنكار الصفة، مع أنهما — فى الحقيقة — من الأخبار.

الـثالث : إيجـاز هذا اللفظ للاستدلال . فإن اللفظ إذا قلّ ، يتراءى المعنى متجردا عن حُجبه ، فيزيده تنويرا وتأثيرا ، كأنه أُرهِف حده، وقُرِّب بعده.

الـرابع : إشراك السامع فى استنباط الدليل ، وذلك مما يكسر سَوْرة {حدّة} خصـامه . فإنه إذا علم شيئا بعد التأمل ، فرح به، واهتزّ له . وترى ذلك بيّنا فى أقسام القرآن. فإنها تعرض على السامع أمرا يدعوه إلى استعمال عقله. وربما تسوقه إلى سَمْت الدعوى بلطافة وتدريج .

الخـامس : وضع الدليل فى غير صورته كيلايبادر المنكر إلى المخاصمة، لأن ذلك يذهله عن الخصام .

السـادس : مـا أعطت أوائل السور من نضرة بهجتها، ورونق ديباجتها، إذ تـلمع الأقسام فى قسمات السور — على الأكثر — كالغرة البيضاء . وأما الذى جـاء فى أثـناء السور من الأقسام فقليل، ومثاله كالتصريع فى أثناء القصيدة. وقد اصـطفى القـرآن له كل ما إنْ صُوِّر على عنوان الكتاب، أو تمثَّل للفعل فى مطلع الخطـاب، مـلأ العين والفؤاد بحسنه وجلالته، بل يجل أكثرها عن التصوير لكمال عظمتها، وضيق نطاق الخيال عن سعتها .

السابع : تقديم ذكر الدليل على ذكر الدعوى. فيلقى أولا على الخصم أمرا يوجهـه إلى سمت لابد أن يجلبه إلى الدعوى. فإن المنكر — إذا علم من قبلُ ما تريد الاسـتدلال عليه — أخذ سمتا {جهة} آخر، وتنكب عن الوجه الصحيح. فإذا لم

تذكــر الدعوى أولا ، يوشك أن يتوجه إلى صراط مستقيم . فإذا سار على قصد السبيل، قُدْته إلى آخر النتيجة .

الثامن : كون القسم من جوامع الكلم [1].

وواضح أن هذا الأمر الثامن لا يبعد كثيرا عن الثالث، ويحسن دمجهما معا .

وذهــب محمد الخضر حسين ــ فى أسلوب نفى القسم بخاصة ــ إلى أنه من الأســاليب البليغة فى التوكيد والتحقيق، للدلالة على أن المخبَر عنه واضح بيِّن لا يحتاج إلى قسم [2].

وعلق محسن عبد الحميد على تناول الرازى للأقسام قائلا :

إن الــرازى ــ بمعالجته موضوع القسم بهذا الشكل ــ أراد أن يثبت جانبا آخر من جوانب بلاغة القصد القرآنى، وإعجازه فى استعمال الأساليب على الوجه الأمــثل، حيــث نرى أن الوجود كله يمشى على نسق معين : فكل استعمال من استعمالات القرآن إنما يتناسق مع ما فى الوجود من مظاهر متنوعة ، دون أن يكون هــنالك ارتــبــــاط واضطراب وتناقض . وهذه ناحية مهمة من نواحى إعجاز القرآن [3].

ووصــفت د. عائشة عبد الرحمن القسم القرآنى فى أوائل السور بأنه ظاهرة أسلوبية أخرى من البيان المعجز [4].

---

(1) إمعان ٤٨ ــ ٥٥ . وانظر إسماعيل ٣٧٠ ــ ١ .

(2) بلاغة ٤٥ .

(3) الرازى ٢٥٤ .

(4) الإعجاز ٢٢٦ .

ووصف د . محمد أحمد الغمراوى آية ﴿ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ﴾ [1] بأنها مثال من الإعجـاز العـلمى للقرآن . فقسمه ـ سبحانه ـ فى هذه الآية له حكمته، لأنها تشمل كل محسوب معدود ، إذ لا يمكن لما له عدد أن يخرج عن أن يكـون شفعيا أو وتريا (زوجيا أو فرديا) . ولكن القسم يشير إلى سر فى المقسَم به . فهو لا يدل عـلى مجرد المعدود، ولكن على أهمية كونه شفعا أو وترا. فمثلا عناصر المادة، التى لابـد من بعضها أو من مركباتها، فى الاختراعات وغيرها، كل عنصر منها تتوقف ذاتـه وخواصـه عـلى عـدد الشحنات الكهربائية الموجبة فى نواة ذرته أو عدد الكهيربات السالبة الدائرة فى أفلاكها حول النواة . . . [1] .

وقـد عقب د . أحمد عبد السلام الكردانى على هذه الأقوال قائلا : ما أروع هذا القسم ودلالته العلمية العميقة [2].

وتـؤدى بنا هذه الجولة إلى أن نختلف اختلافا كبيرا مع الغمراوى والكردانى ومـن لـف لفهما من أصحاب الإعجاز العلمى، وبعض الاختلاف مع السيوطى وصـالحة شرف الدين ومن اتفق معهما فى جعل الأقسام وجها مستقلا من وجوه الإعجـاز. ونقترب كثيرا من الباقلانى ، فنرى أن كل الآراء التى تحدثت عن بلاغة الأقسـام وإعجازها تدفعنا إلى أن نؤمن أن الأقسام القرآنية أحد عناصر الإعجاز البيانى .

---

(1) الإسلام ٣٧٠ . الكردانى ٥٢ .

(2) نماذج ٥٧ .

الفصـــل الخامـــس

أغراض القسم ودواعيه

أ - أغراضـــه

قـال الطوسـي : القسم جملة من الكلام يؤكد بها الخبر، بما يجعله فى قسم الصواب دون الخطأ، أو فى حيز المتحقق، على طريقة : بالله إنه لكذا [١].

وصرح الرازى: إيراد القسم للتأكيد المحض، كما هو عادة العرب [٢].

وصـرح ابـن القيم: قد يراد بالقسم توكيده وتحقيقه، وقد يراد به تحقيق المقسم عليه [٣].

---

(١) التبيان ٤/ ٤١٥ ، ٩/٥٠٦ ، ١٩٠/١٠ . وانظر الزركشى ٤٠ . القطـان ٣٠٠ . السامرائى ٥٦ .

(٢) مفاتيح ٢٦/ ١٠٣ . الفراهى ٥ــ٩،٧ . الرازى لعبد الحميد ٢٥١ . المدخل ١/ ٥٠٠ ، ٥٠٤ .

(٣) التبيان ٤٦ . معترك ١/ ٤٥٣ . الإتقـان ٢/ ١٧١ . ونسبه للسيوطى : القاضى ٨٤ . وأتى به غير منسوب الآلوسى لعبد الحميد ٢٤٥ . قمحاوى ٣/ ٢٢ . رضا ١٦٤ .

وقال الزركشي: إنما جيء بالقسم لتوكيد المقسم عليه [1].

وقال السيوطي : إقسام الله لإقامة الحجة وتأكيدها [2].

ورأت د . عائشة عبد الرحمن أن القسم يأتي في مقام التوثيق لما يسبق إنكاره، أو الإقرار به [3].

وأعلن د . بكري شيخ أمين : القسم أفضل المؤكدات [4]، ود . عبد الله محمود شحاتة : القسم من المؤكدات المشهورة التي تمكن الشيء في النفس وتقويه، وهو — في كلام الله — لتأكيد الحكم ، وتقوية الحجة، وسوق الأدلة والبراهين على تقرير المعنى وتوضيحه [5] ؛ ود. محمد بكر إسماعيل : أسلوب القسم في اللغة طريق من طرق توكيد الكلام ، وإبراز معانيه ومقاصده، على النحو الذي يريده المتكلم، إذ يؤتى به لدفع إنكار المنكرين أو إزالة شك الشاكين. وإذا كان المتكلم قد رأى أن المخاطب يشك في كلامه، أكد له القول بنوع من أنواع التوكيد، وأهمها القسم [6] .

---

(1) البرهان ٣/ ٤٤ .
(2) معترك ٣/ ٤٤ .
(3) الإعجاز ٢٢٦ .
(4) التعبير ٢٤٦ .
(5) علوم ٢٧١ — ٢ .
(6) دراسات ٣٦٣ .

ب ـ دواعيـــــــه

يــبدو أن هـــناك مـــن استنكر أقسام القرآن. وقال : ما معنى القسم منه ، سبحانه ؟ فإنه إن كان لأجل المؤمن ، فالمؤمن يصدق مجرد الإخبار؛ وإن كان لأجل الكافر، فلا يفيده .

وتصـــدى أبـــو القاسم القشيرى للإجابة فقال : إن الله ذكر القسم لكمال الحجـــة وتأكيدها. وذلك أن الحكم يُفصَل باثنين : إما بالشهادة، وإما بالقســـم. فذكر ـــ تعالى ـــ النوعين حتى لا يبقى لهم حجة [1].

وعـــن بعض الأعراب أنه لما سمع قوله : ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾ [2] صاح قائلا : من الذى أغضب الجليل حتى ألجأه إلى اليمين [3] .

وتصـــدى له الزمخشـــرى فقال : فإن قلت : الناس قد أنكروا إتيان الساعة وجحـــدوه . فهبْ أنه حلف لهم بأغلظ الأيمان، وأقسم عليهم جهد القسم ، فيمينُ من هو فى معتقَدهم مُفْتر على الله كذبا، كيف تكون مصححةً لما أنكروه ؟

وأجـــــــــــاب : هـــذا لو اقتصر على اليمين، ولم يُتْبعها الحجة القاطعة والبيـــنة الساطعة، وهى قوله ﴿ لِيَجْزِيَ ﴾ [4]. فقد وضع الله فى العقول، وركّب فى

---

[1] الزركشى ٣/ ٤١ . معترك ١/ ٤٥٠ . الإتقان ٢/ ١٦٩ . المدخـــــل ١/ ٥٠١ . قمحاوى ٣/ ٢٢ . خليف ٩٦ .

[2] سورة الذاريات ٢٣ .

[3] الزركشى ٣/ ٤١ . معترك ١/ ٤٥٠ . الإتقان ٢/ ١٦٩ . المدخـــــل ١/ ٥٠١ . قمحاوى ٣/ ٢٢ . خليف ٩٦ . وانظر الزمخشرى ٤/ ٤٠٠ .

[4] سورة سبأ ٤ .

الغـــرائــز وجــوب الجزاء، وأن المحسن لابد له من ثواب، والمسيء لابد له من عقاب [1].

وأورد فى موضـــع آخـــر خـــبر الأعـــرابى، مرويا عن عبد الملك بن قريب الأصمعى (١٢٢ ــ ٢١٦/ ٧٤٠ ــ ٨٣١) [2].

وأورد الرازى إجابة الزمخشرى ثم ذيلها بقوله : الذى أقوله أنا هو أن الدليل المذكـــور فى قوله : ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ لاَ يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ ﴾ [3] أظهر . وذلك لأنه إذا كان عالما بجميع الأشياء، يعلم أجزاء الأحياء، ويقدر على جمعها، فالساعة ممكنة القيام ، وقد أخبر عنها الصادق ، فتكون واقعة [4].

كذلـــك تصـــدى له الـــرازى فى أكثر من موضع فقال ذات مرة : الناس طبقات. فمنهم من لا يقر بالشيء إلا بالبرهان الحقيقى، ومنهم من لاينتفع بالبرهان الحقيقـــى بـــل ينـــتفع بالأشياء الإقناعية نحو القسم . فإن الأعرابى الذى جـــــاء الرسول ﷺ وسأل عن نبوته ورسالته، اكتفى فى تحقيق تلك الدعوى بالقسم. فكذا هاهنا [5].

وقال ــ وهو بصدد الإجابة عن فائدة القسم فى إخبار النبى ﷺ عن البعث مـــع إنكارهم رسالته ــ قال : إنهم ــ وإن أنكروا الرسالة ــ لكنهم يعتقدون أنه

---

(١) الكشاف ٣/ ٥٦٧ ــ ٨ . الرازى ٢٥ / ٢٠٨ .

(٢) الكشاف ٤ / ٤٠٠ ..

(٣) سورة سبأ ٣

(٤) مفاتيح ٢٥ / ٢٠٨ .

(٥) مفاتيح ١٧ / ٩٠ .

يعـــتقد ربـــه اعتقادا لا مزيد عليه . فيعلمون أنه لا يُقدم على القسم بربه إلا وأن يكون صدقُ هذا الإخبار أظهر من الشمس عنده وفى اعتقاده [١].

وأعـــاد ــ فى موضـــع ثـــالث ــ صياغة السؤال الذى واجهه القشيرى ، فجعله: الحَلف من الله غير لائق من وجوه :

الأول : أن المقصـــود مـــن القسم إما إثبات المطلوب عند المؤمن أو عند الكافر . الأول باطل لأن المؤمن مقرّ به سواء حصل الحلف أو لم يحصل ، والمكذب لا يصدق مع القسم. فهذا الحلف عديم الفائدة على كل التقديرات [٢].

الثانى : إثبات المطالب العالية الشريفة على المخالفين من الدهرية وأمثالهم بالحلف لا يليق بالعقلاء [٣].

وكان الجواب عند الرازى من وجوه أيضا :

الوجـــه الأول : أنـــه ــ تعالى ــ قرر هذه المطالب العالية فى سائر السور بـــالدلائل اليقيـــنية . فـــلما تقدم ذكر تلك الدلائل لم يبعد تقريرها. فذكر القسم تـــأكيدا لما تقدم ، لاسيما والقرآن إنما أنزل بلغة العرب ، وإثبات المطالب بالحلف طريقة مألوفة عند العرب [٤].

---

(١) مفاتيح ٣٠ / ١٢ .

(٢) مفاتيح ٢٦/ ١٠٣ . الرازى لعبد الحميد ٢٥١ . وأتى به غير منسوب : القرطبى ١/ ١٥٦ . الزركشى ٣/ ٤١ . معترك ١/ ٤٤٩ . الإتقان ٢/ ١٦٩ . الفراهى ٤. القاضى ٨٤ . المدخل ١/ ٥٠٠ . قمحاوى ٣/٢٢ . رضا ١٦٥ .

(٣) مفاتيح ٢٦/ ١٠٣ . الرازى لعبد الحميد ٢٥١ .

(٤) مفاتيح ١٠٣/٢٦ . الفراهى ٥ . الرازى لعبد الحميد ٢٥١ . وأورده غير منسوب: القرطبى ١/ ١٥٦ . معترك ١/ ٤٤٩ . الإتقان ٢/ ١٦٩ . بدوى ١٧٠ . القاضى ٨٤ . المدخـــل ١/ ٥٠٠ ، ٥٠٤ ، إسماعيل ٣٧١ . ونسبه إلى السيوطى : خليف ٩٦ . رضا ١٦٥ .

الوجه الثانى : أنه ــ تعالى ــ لما أقسم بهذه الأشياء على صحة قولــــه : ﴿إِنَّ إِلَهَكُـــمْ لَوَاحِـــدٌ﴾ ذكـــر عقيبه ما هو كالدليل اليقينى فى كون الإله واحدا، وهــــو قوله : ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ﴾ [1] كأنــــه قيل : قد بينا أن النظر فى انتظام هذا العالم يدل على كون الإلاه واحدا . فتأملوا فى ذلك الدليل ليحصل لكم العلم بالتوحيد .

الوجه الثالث : أن المقصود من هذا الكلام الرد على عبدة الأصنام فى قولهم بأنهـــا آلهة . فكأنه قيل : هذا المذهب قد بلغ فى السقوط والركاكة إلى حيث يكفى فى إبطاله مثل هذه الحجة [2].

الوجــــه الرابع : أن الكفار كانوا ــ فى بعض الأوقات ــ يعترفون بكون النبى ﷺ غاليا فى إقامه الدليل . وكانوا ينسبونه إلى المجادلة، وإلى أنه عارف ــ فى نفســـه ــ بفساد ما يقوله، وأنه يغلبهم بقوة الجدل لا بصدق المقال. فلم يبق طريق غير السكوت أو التمسك بالأيمان وترك إقامة البرهان .

الوجـــه الخـــامس : أن العرب كانت تحترز عن الأيمان الكاذبة، وتعتقد أنها تدع الديار بَلاقع { خربة } . فلما أكثر النبى ﷺ من الأيمان بكل شريف، ولم يزده ذلك إلا رفعة وثباتا ، حصل لهم العلم بأنه لا يحلف بها كاذبا، وإلا لأصابه شؤمها، ولناله المكروه فى بعض الأزمان .

الوجه السادس: أن الأيمان التى حلف الله بها كلها دلائل . . . .[3]

ولم يــــرض عـــبد الحميد الفراهى عن أقوال الرازى ، ونقض الوجوه التى أوردها واحدا بعد واحد .

---

[1] سورة الصافات ٤ ، ٥ .

[2] مفاتيح ٢٦ / ١٠٣ ــ ٤ . الفراهى ٥ ــ ٧ . الرازى لعبد الحميد ٢٥١ .

[3] مفاتيح ٢٨/ ١٦٦ ــ ٧ . الفراهى ٦ ــ ٨ . الرازى لعبد الحميد ٢٥٠ .

فاعترض على الوجه الأول بأن القرآن يناقضه، لأنك ترى القسم فى أوائل الوحى أكثر مما تراه بعد استيفاء الدلائل .

وعلى الثانى : بأنه ساكت عن بيان حكمة الصور المتنوعة للقسم. فأى فائدة للعدول عن القسم بالله إلى القسم بهذه الأشياء .

وعلى الثالث : ووصفه بأنه سخيف جدا، كأنه — بعد ما اعترف فى الوجهين الأولين بأن القسم لا حجة فيه — قال هنا : إن مذهب الخصم كان جديرا بأن يجاب عنه بما ليس من الحجة فى شىء .

وعلى الرابع : بأن فيه خلطا بين الغث والسمين، ونقضا لما قال فى تفسير الصافات بأن القسم يتبعه الدليل، وإنما كان القسم لأجل التأكيد. والأمر كذلك، فإن القرآن لا يسكت على القسم .

فلو قال : لأن الدليل المحقق ربما لا ينجع فى الخصم ، إذا كان قليل المعرفة بالاستدلال، وقليل الاعتماد على نظره، أو متهما للمتكلم بخلابة بيانه ، فيحسن فى هذه الحالات شوب { خلط } الحجة باليمين ؛ فلو قاله هكذا لكان أقرب .

وعلى الخامس : بأنه أصاب فيما قال، لو لم يزد عليه ما قال من أن النبى ﷺ أكثر من الأيمان بكل شريف، كأنه أراد أنهم إذا أقسموا بشريف خافوا سخطه، إن كذبوا فى يمينهم به . وضعف هذا القول ظاهر فإن أقسام القرآن ربما تكون بما ليس فيه شرف . والقرآن يهدى إلى أن لا تخاف إلا الله. وأى شؤم يخاف من التين والزيتون ؟ ! ثم النبى ﷺ كان يبلغ القرآن من الله ، فالقسم منه — تعالى — وهو لا يخاف أحدا .

فلو اقتصر على الجزء الأول من جوابه، وقال إن العرب كانت تحترز عن الأيمان الكاذبة، وتخاف مغبتها، وتعتقد أن الرجل لا يحلف كذبا، فإذا حلف أحد، أصغوا إليه ؛ كان أقرب إلى ما يجاب به .

وعــلى الوجــه السادس بأنه يكفى لدفع القول بأنه لا فائدة للقسم. ولكن يلزم على القائل به أن يبين وجه الاستدلال بالمقسم به على المقسم عليه. وهذا ــ مع كونه ظاهرا فى بعض المواضع ــ كثيرا ما يحتاج إلى إمعان شديد . ولعله ــ لهذا السبب ــ لم يعتمد عليه إلا فى سورة الذاريات وفى بعض سور أُخَر [1].

وحين أراد الفراهى أن يعبر عن رأيه الخاص، نظر فى السلوك البشرى عامة . فأعلن أن الإنسان ربما يحتاج إلى تأكيد خبر أو وعد منه ، حين يريد أن يعتمد عليه المخــاطب، وتطمئن به نفسه ، لا سيما فى الأمور العظيمة. وهذه الحاجة التمدنية دعــتهم إلى طــرق وكلمات خاصة يعبرون بها عن هذا التأكيد. فكان ذلك أصل قسمهم [2].

وأرجعــه مــناع القطــان إلى اختلاف الاستعداد النفسى عند الفرد فى تقبله لــلحق، وانقياده لنوره . فالنفس الصافية التى لم تدنس فطرتها بالرجس ، تستجيب للهدى، وتفتح قلبها لإشعاعه، ويكفيها فى الانصياع إليه اللمحة والإشارة .

أمــا النفس التى رانت عليها سحابة الجهل، وغشيتها ظلمة الباطل، فلا يهتز قلــبها إلا بمطارق الزجر وصيغ التأكيد، حتى يتزعزع نكيرها. والقسم فى الخطاب مــن أســاليب الــتأكيد الــتى يتخللها البرهان المفحم؛ والاستدراج بالخصم إلى الاعتراف بما يجحد [3].

كمــا أعــاده إلى أعــراف اللغة العربية . فإنها تمتاز بدقة التعبير، واختلاف الأساليب بتنوع الأغراض. وللمخاطب حالات مختلفة، هى المسماة ــ فى المعانى ــ بأضرب الخبر الثلاثة : الابتدائى ، والطلبى ، والإنكارى .

---

(1) إمعان ٥ ــ ٨ .

(2) إمعان ١٤ . أمين ٢٣٧ .

(3) مباحث ٣٠٠ . أمين ٢٣٧ .

فقــد يكــون المخاطب خالى الذهن من الحكم ، فيلقى إليه الكلام غُفْلا من التأكيد. ويسمى هذا الضرب : ابتدائيا .

وقــد يكــون مترددا فى ثبوت الحكم وعدمه، فيحسن تقوية الحكم له بمؤكد ليزيل تردده . ويسمى هذا الضرب : طلبيا .

وقــد يكــون مــنكرا للحكم ، فيجب أن يؤكد له الكلام بقدر إنكاره قوة وضعفا. ويسمى هذا الضرب : إنكاريا .

والقســم من المؤكدات المشهورة التى تمكن الشىء فى النفس وتقويه . وقد نزل القرآن للناس كافة . ووقف الناس منه مواقف متباينة . فمنهم الشاك ، ومنهم المــنكر، ومنهم الخصم الألد . فالقسم ــ فى كلام الله ــ يزيل الشكوك ، ويحبط الشبهات، ويقيم الحجة، ويؤكد الأخبار، ويقرر الحكم فى أكمل صورة [1].

وروى د. يوســف خليف أن السيوطى علل الأقسام بقرب العهد من العصر الجاهلى، وأن القرآن جرى على عادة العرب فى القسم . ورأى أن السببين اللذين ذكرهما السيوطى والقشيرى يكمل أحدهما الآخر [2] .

ورد انتشــار القســم ــ فى المرحلة المكية ــ إلى أن هذه المرحلة ــ فى تاريخ الدعــوة الإســلامية ــ هــى التى شهدت حملات الرفض والإنكار لهذه الدعوة، والتشــكيك فــيما جــاء به الدين الجديد من أمور غيبية جديدة على العرب ، لم يكونــوا على استعداد لتقبلها، أو من أمور روحانية لم تهيئ لهم حياتهم المادية فرصة الاقتناع بها .

---

(1) مباحث ٣٠١ ــ ٢ . وأتى به غير منسوب : إسماعيل ٣٦٣ . وانظر أمين ٢٤٦ .

(2) دراسات ٩٦ .

وإذا لا حظنا أن القرآن ــ فى دوره المكى ــ كان يتعامل مع العرب تعاملا وجدانيا، فى محاولة لإثارة مشاعرهم وعواطفهم ، ردا على أسلوبهم الانفعالى العصبى فى التعامل معه، استطعنا أن نضيف سببا ثالثا لانتشار القسم فى الآيات المكية [1].

ويتضح من هذه الجولة أن الأقسام أرّقت المتكلمين من المفسرين خاصة من أمثال الزمخشرى والرازى، وأن السؤال عن قيمة هذه الأقسام وتسويغ صدورها من الخالق يواجه الواحد منهم بعد الآخر . ولذلك نجد الزمخشرى مثلا يتعرض للأمر مرتين، والرازى يسعى للإجابة عنه فى أكثر من موضع، وأفاض فى ذلك .

كذلك يتضح أن الفراهى مازال يتصدى للرازى، ويسعى ــ بحق أو باطل ــ إلى أن ينقض كل ما بنى .

ويتضح أن المحدثين اعتمدوا فى إجابتهم على زيادة المعرفة بالنفس البشرية، وما تتطلع إليه، وما تقتنع به . ولكننى أخالف د. يوسف خليف فى جعله القرب من العصر الجاهلى أحد دواعى الأقسام القرآنية .

---

(1) دراسات ٦٩ ــ ٦ .

المقسم عليه

لاحــظ الحسين بن مسعود البغوى (٤٣٦ـ٥١٠ / ١٠٤٤ـ١١١٧) أن القرآن أورد المقسم عليه فى عدة أشكال ، فقال : جوابات القسم سبعة :

(إنّ) الشديدة كقوله : ﴿وَالْفَجْرِ ... إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ [١].

و (ما) النفى كقوله : ﴿وَالضُّحَى ... مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ﴾ [٢].

واللام المفتوحة كقوله : ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [٣].

و(إنْ) الخفيفة كقوله : ﴿إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [٤].

و (لا) كقوله : ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ﴾ [٥].

و (قد) كقوله : ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ... قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ [٦].

و (بل) كقوله : ﴿وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ * بَلْ عَجِبُوا﴾ [٧].

---

(١) سورة الفجر ١ ، ١٤ .

(٢) سورة الضحى ١ ، ٣ .

(٣) سورة الحجر ٩٢ .

(٤) سورة الشعراء ٩٧ .

(٥) سورة النحل ٣٨ .

(٦) سورة الشمس ١ ، ٩ .

(٧) سورة ق ١ ، ٢ . معالم ٣٥٦/٧ . وأود أن أشير إلى أن فى بعض ما أورده خلافا فى كونه جواب القسم .

ولاحـــظ الرازى أنه فى جميع السور التى أقسم الله فى ابتدائها بغير الحروف، كـــان القســـم لإثـــبات الأصـــول الثلاثة التى يتم بها الإيمان، وهى : الوحدانية، والرسالة، والحشر[1].

ولم يقسم لإثبات الوحدانية إلا فى سورة واحدة، هى الصافات ، حيث قال فى الآيــة الــرابعة مــنها : ﴿إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ﴾ . وأقسم لإثبات صدق محمد ﷺ وكونه رسولا فى سورتين : فى إحداهما بأمر واحد ، هو قوله : ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ ﴾ ، وفى الثانية بأمرين ، هما قوله : ﴿وَالضُّحَى * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى * مَـــا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾ وكان المقسم عليه فى باقى السور الحشر والجزاء وما يتعلق بهما .

وعلل ذلك فى هذا الموضع بأنهم ــ وإن كانوا يقولون : ﴿أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا ﴾ [2]على سبيل الإنكار ، وكانوا يبالغون فى الشرك ــ لكنهم فى تضاعيف أقوالهم، وتصاريف أحوالهم ، كانوا يصرحون بالتوحيد. فاكتفى بالبرهان، ولم يكثر من الأيمان ، وبأن القسم على إثبات رسالته قد كثر بالحروف والقرآن ، كمـــــا فى قوله : ﴿ يس * وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ * إِنَّكَ لَمِنْ الْمُرْسَلِينَ ﴾ أقسم بالقرآن لتكون الإشارة ــ فى القسم ــ واقعة إلى القرآن، الذى هو معجزة رسالته ؛ وبأن إنكارهم للحشر كان خارجا عن الحد ، ولم يُستوفَ فى صورة القسم بالحروف [3] .

وعلل هذه الظاهرة فى موضع آخر بأن دلائل الوحدانية كثيرة، وكلها عقلية كما قيل : وفى كل شيء له آية تدل على أنه واحد

---

[1] مفاتيح ٢٨/ ١٦٧ . الرازى لعبد الحميد ٢٥٢ . وأتى به غير منسوب : الفراهى ٤ . خليف ١٠٢ ــ ٧ . وانظر ابن القيم ١/ ٤٩ . الجندى ٣٨ . المدخل ١/ ٥٠١ ، ٥٠٤ .

[2] سورة ص ٥ .

[3] مفاتيح ٢٨ / ١٦٧ . الرازى لعبد الحميد ٢٥٢ .

ودلائل النبوة أيضا كثيرة، وهى المعجزات المشهورة والمتواترة. وأما الحشر فإمكانه يثبت بالعقل، وأما وقوعه فلا يمكن إثباته إلا بالسمع. فأكثر القسم ليقطع به المكلّف ويعتقده اعتقادا جازما [١].

وأعـــلن ابن القيم : يقسم ـــ سبحانه ـــ على أصول الإيمان التى يجب على الخلق معرفتها [٢]. تارة يقسم على التوحيد، وتارة على أن القرآن حق، وتارة على أن الرســـول ﷺ حـــق ، وتارة على الجزاء والوعـــد والوعيد، وتارة على حال الإنسان [٣].

ومـــا أقســـم عليه الرب فهو من آياته . فيجوز أن يكون مقسما به ، ولا ينعكس [٤].

ونظر إلى شكل جملة القسم . فوجد أنه إما على جملة خبرية ، وهو الغالب ، كقوله : ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ ﴾ [٥].

وإمـــا عـــلى جملة طلبية ، كقوله : ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [٦]. مع أن هذا قد يراد به تحقيق المقسم عليه، فيكـــون من باب الخبر،

---

[١] مفاتيح ٢٨ / ٢٣٩ ـــ ٤٠ .

[٢] التبيان ١/ ٤٩ . معترك ١/ ٤٥٤ . الإتقان ٢/ ١٧١ . الفراهى ١٠ . القاضى ٨٦ . قمحاوى ٣/ ٢٦ . إسماعيل ٣٦٧ . وأتى به غير منسوب : القطان ٣٠٦ . شحاتة ٢٧٦ . المدخل ١/ ٥٠٤ .

[٣] التبيان ١/ ٤٩ ـــ ٦٤ . معترك ١/ ٤٥٤ . الإتقان ٢/ ١٧١ . الفراهى ١٠. القـــاضى ٨٦ ـــ ٧ . قمحاوى ٣/ ٢٦ . إسماعيل ٣٦٧ ـــ ٩ . وأتى به دون نسبة : بدوى ١٧٢ . شحاتة ٢٧٦ ـــ ٧ . المدخل ١/ ٥٠٤ . رضا ١٦٨ ـــ ٧٠ .

[٤] التبيان ١/ ٤٦ . معترك ١/ ٤٥٣ . الإتقان ٢/ ١٧١ . قمحاوى ٣/ ٢٦ .

[٥] سورة الذاريات ٢٣ .

[٦] سورة الحجر ٩٢ ـــ ٣ .

وقد يراد به تحقيق القسم [1].

وقال د. أحمد أحمد بدوى : يقسم القرآن ـ غالبا ـ على صدق ما جاء به هـذا الديـن ، الذى نزل القرآن لتثبيت أسسه وقواعده ، وأحيانا يؤكد أحوال الإنسان [2].

وأضـاف د. شـعبان محمد إسماعيل أن القرآن يقسم تارة على نفى صفة ذميمة عن الرسول ﷺ كما فى أول سورتى النجم والقلم [3].

وأرجع د. محمد بكر إسماعيل الأمور الكثيرة التى أقسم الله فى كتابه عليها إلى أصلين بدلا من ثلاثة ، وهما عنده :

- أصول الإيمان .
- حال الإنسان [4].

ويتضـح من هذه الجولة أن المقسم عليه لم ينل من اهتمام العلماء إلا قسطا ضئيلا جدا بالنسبة لما ناله المقسم به، وأن الرازى وابن القيم كانا أكثرهم اعتناء .

ولعـل السـبب فى قلة حظه أن الحديث عنه جزء من الحديث عن مضامين القـرآن . ومـن الطـبيعى أن يغطى الحديث عن جملة القرآن على الحديث عن جزئياته.

---

[1] التبيان ١/ ٤٥ ـ ٦ . معترك ١/ ٤٥٣ . الإتقان ٢/ ١٧١ . قمحـاوى ٣/ ٢٦ . وأتى به غير منسوب : القطان ٣٠٦ .

[2] من بلاغة ١٧٢ . وأتى به غير منسوب : القطان ٣٠٦ .

[3] المدخل ١/ ٥٠٤ .

[4] دراسات ٣٦٦ ـ ٧ .

الفصـــــل السابع

أنواع القسم

قسم الزركشي القسم إلى نوعين :

١ - مُظْهَر كقوله : ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ ﴾ (١).

٢ - ومضمر ، وهو قسمان :

(أ) قسم دلت عليه لام القسم كقوله: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ﴾ (٢).

(ب) وقسم دل عليه المعنى كقوله : ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلا وَارِدُهَا﴾ (٣) تقديره : والله (٤).

وفســـر مـــناع القطان التسمية . فحدد المظهر أو الظاهر بما صُرِّح فيه بفعل القســـم والمقسم به . ومنه ما حذف فيه فعل القسم ـــ كما هو الغالب ـــ اكتفاء بالأداة . وحدد المضمر بمالم يصرح فيه بفعل القسم ولا بالمقسم به (٥) .

---

(١) سورة الذاريات ٢٣ .

(٢) سورة آل عمران ١٨٦ .

(٣) سورة مريم ٧١ .

(٤) البرهان ٣/ ٤٢ ـــ ٣ . وأتى به غير منسوب : معترك ١/ ٤٥٢ . الإتقان ٢/ ١٧٠ . الآلوسي لعبد الحميد ٢٤٦ . شعبان ١/ ٥٠١ . قمحاوى ٣/ ٢٥ . خليف ٩٥ .

(٥) مباحث ٣٠٣ ـــ ٤ .

وحـــدد د. شـــعبان محمد إسماعيل الظاهر بما ظهرت فيه أركانه أو أغلبها، وهو الأعم الأغلب فى القرآن؛ والمضمر بما دل عليه مضمون الكلام، وهو قليل فى القرآن [1].

وسمـــى د. يوسف خليف القسم الظاهر : الصريح [2]، ولاحظ أنه ورد فى إحدى وثمانين آية ، منها ثلاث وستون مكية، وثمانى عشرة مدنية [3].

وقـــال د. شعبان محمد إسماعيل عن القسم الظاهر : جاء على أنحاء مختلفة وأشكال متنوعة :

فتارة يتعدد المقسم به مع انفراد المقسم عليه ، كما فى قـــــــــــوله : ﴿وَالطُّورِ * وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ ... إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾ [4].

وتارة بتعدد المقسم عليه ، كما فى سورة الضحى كلها .

وتـــارة ينفرد المقسم به مع تعدد المقسم عليه ، كما فى قـــــــــوله : ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى * وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى﴾ [5].

---

[1] المدخل ١/ ٥٠٢ ــ ٣ .

[2] دراسات ٩٥ .

[3] دراسات ٩٥ .

[4] سورة الطور ١ ــ ٧ .

[5] سورة النجم ١ ــ ٤ . المدخل ١/ ٥٠٢ .

الفصل الثامن

أركان القسم

قال مناع القطان : أجزاء صيغة القسم ثلاثة :

١ - الفعل الذى يتعدى بالباء .

٢ - والمقسم به .

٣ - والمقسم عليه [١].

وقال د . بكرى شيخ أمين : فى القسم ثلاثة أمور :

١ - أداة القسم .

٢ - المقسم به .

٣ - المقسم عليه [٢].

وقال د . شعبان محمد إسماعيل : للقسم أركان أربعة :

١ - مُقسِم .

٢ - ومقسم به .

٣ - ومقسم عليه .

٤ - وأداة قسم [٣].

---

(١) مباحث ٣٠٠ .

(٢) التعبير ٢٣٨ ـ ٩ . وأتى به غير منسوب : شحاتة ٢٧٢ . إسماعيل ٣٦٤ .

(٣) المدخل ١/ ٥٠١ .

وإذن فقد أجمعوا على ركنين :

١ – المقسم به .
٢ – والمقسم عليه .
واتفق الأخيران على :
٣ – أداة القسم .

وانفرد د . شعبان بذكر المقسِم ، ولسنا فى حاجة للحديث عنه لأنــه ــ فى مقام القرآن ــ هو سبحانه . كما انفرد القطان بذكر فعل القسم مع إحدى الأدوات . والحق إن الفعل لا يمكن إهماله وإن حذف كثيرا، اكتفاء بالأداة.

وإذا كنت جعلت القطان أول من ذكرت آراءهم ، فإننى لم أرد بذلك أن أحدا قبله من العلماء لم يشعر بأن جملة القسم تتألف من أجزاء، ولم يذكـــر هذا أو ذاك منها، بل ورد ذلك كثيرا ومنذ عهد بعيد . وإنما أريد أنه أول من نظر فى القسم فى جملته ، وحاول تصنيف أجزائه .

خاتمـــة

نخلص من هذه الدراسة بأن «الأقسام» لا تصلح أن تكون وجها مستقلا للإعجاز القرآنى ، وإنما هى أحد عناصر الإعجاز البيانى .

ونتـــبين أن عبد الله بن عباس ــ من صغار الصحابة عمرا ــ لفت نظره من أقسام القرآن ظاهرتان :

- القسم بحياة محمد .
- ودخول (لا) على القسم .

وجزم فى الظاهرة الأولى بأن هذا القسم وقع تكريما للنبى الذى لا يوجد عند الله مـــن هـــو أكرم منه . وفتح بهذا القول الباب ليلج منه من أرادوا تبرير إقسام القرآن بغير الله ، وهو الأمر المنهى عنه . فتفد ثروة طائلة من التبريرات ، التى رأينا أننا يمكن ــ للتعميم ــ أن ندرجها تحت مبررين اثنين تتشعب منهما مسالك. هذا المبرران هما :

- صفات المقسم به الذاتية .
- وكونه صالحا للاستدلال به على وجود الله وصفاته .

وارتاح ابن عباس فى الظاهرة الثانية إلى القراءة التى تفصل بين (لا) وفعل القسم الذى بعدها باستراحة ، فأبعد بذلك النفى عن التقسيم .

ونســـب إليـــه مفسرو الشيعة ــ والقرطبى من القرن السابع ــ أنه حاول معـــرفة كـــنه (لا) هذه . ولكن أغلبية المفسرين عزت هذه المحاولة إلى سعيد بن جبير من التابعين . وهو الرأى الذى أميل إليه ، تحقيقا للتدرج الزمنى .

ونتبين أن العناية بالأقسام استمرت دون أن تخبو جذوتها ، غير أننا نلاحظ أن الـــنحويين كانت لهم مشاركة واسعة فى القرنين الثانى والثالث ، وبخاصة فيما تعلق

بأســاليب القســـم . وانضم إليهم ــ فى القرن الثامن ــ المفسر النحوى أبو حيان الأندلسى ، وعالم النحو ابن هشام المصرى . ولم يخلِ الزمخشرى كشافه ، والرازى مفاتيحه من النظرات النحوية .

والغـــريب أن هذه الحركة الواسعة والمتصلة على القرون لم تثمر كتبا منفردة عن الأقسام غير تبيان ابن القيم قديما، وإمعان الفراهى حديثا ، بعكس ما قـــــال د. محمد محمد أبو شهبة [1].

ولذلـــك نجد أكثر من كتبوا عن الأقسام بعد ابن القيم اعتمدوا على كتابه : إمـــا بالاقتـــباس المباشر أو التصرف فى عبارته ، ومع الاعتراف بذلك فى كثير من الأحيان وعدم الاعتراف أحيانا .

ومـــن ثم أعجـــب د. محمد محمد أبو شهبة به ، وجهر ــ على حق ــ بأنه أحفل الكتب المؤلفة عن الأقسام وأجلُّها .

وجديـــر بالـــتقدير أيضـــا كتاب الفراهى ، الذى أمدّ التفكير الإسلامى فى الأقســـام بـــروافد لم يعتن بها غيره . ويبدو أنه كان يختلف عن الرازى فى اتجاهاته الكلاميـــة فى التفسير . ولذلك خصه بقدر كبير من اللوم الذى صبه على أفكار وجدناها عند غير الرازى ممن سبقوه .

ويـــؤدى بـــنا هذا إلى أن نذكر للرازى تميزه بالحوار المسهب والمتعدد الذى ابتكره دفاعا عن الأقسام .

❁❁❁❁❁

---

(1) المدخل ٢٤٨ .

المصادر والمراجع

- الآلوســـى ، شهاب الدين محمود بن عبد الله : روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى ـــ بيروت ـــ دار الفكر ـــ ١٣٩٨ / ١٩٧٨ .
- الأخفش ، سعيد بن مسعدة : معانى القرآن ـــ مصر ـــ دار مطبعة المدنى ـــ ط ١ ـــ ١٤١١ / ١٩٩٠.
- د . إسماعيل ، شعبان محمد : المدخل لدراسة القرآن والسنة والعلوم الإسلامية ـــ مصر ـــ دار الأنصار ـــ ط ١ ـــ ١٤٠٠ / ١٩٨٠ .
- د . إسماعيل ، محمد بكر : دراسات فى علوم القرآن ـــ دار المنار ـــ ط ١ ـــ ١٤١١ / ١٩٩١ .
- الإصبع (ابن أبى) ، عبد العظيم بن عبد الواحد : الخواطر السوانح فى أسرار الفواتح ـــ مصر ـــ مطبعة الرسالة ـــ ١٩٦٠ .
- د . أمين ، بكرى شيخ : التعبير الفنى فى القرآن ـــ دار الشروق ـــ ط ٢ ـــ ١٣٩٦ / ١٩٧٦ .
- د . بـــدوى ، أحمـــد أحمد : من بلاغة القرآن ـــ الفجالة ـــ مكتبة نهضة مصر ـــ ط ٣ .
- الـــبغوى ، الحسين بن مسعود : معالم التنزيل ـــ لبنان ـــ بيروت ـــ دار المعرفة ـــ ١٤٠٧ / ١٩٨٧ .

- جـنى (ابـن)، عثمان : المحتسب فى تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضـاح عنها ـــ مصر ـــ المجلس الأعلى للشئون الإسلاميـة ـــ ط ١ .
- الجـوزى (ابن) ، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن على : زاد المسير فى علم التفسير ـــ المكتب الإسلامى .
- جوهرى ، طنطاوى : التاج المرصع بجواهر القرآن والعلوم ـــ مصر ـــ المطبعة الرحمانية ـــ ط ٢ ـــ ١٩٣٣ .
- الحديدى ، محمد أبو النور : البيان فى دفع التعارض المتوهم بين آيات القرآن ـــ مصر ـــ مطبعة الأمانة ـــ ١٤٠١ / ١٩٨١ .
- حسـين ، محمـد الخضر : بلاغة القرآن ـــ طبع ونشر على الرضا التونسى ـــ ١٣٩١ / ١٩٧١ .
- حمـودة ، عـبد الوهـاب : أسرار القسم فى القرآن ـــ مجلة لواء الإسلام ـــ جمادى الثانية ١٣٦٨ / ١٩٤٨ .
- حيـان (أبو) ، محمد بن يوسف : البحر المحيط ـــ مصر ـــ مطبعة السعادة ـــ ط ١ ـــ ١٣٢٨ .
- د . خـليف ، يوسف : دراسات فى القرآن والحديث ـــ مصر ـــ دار غريب للطباعة .
- الـرازى ، فخر الدين محمد بن عمر : مفاتيح الغيب ـــ بيروت ـــ دار الكتب العلمية ـــ ١٤١١ / ١٩٩٠ .
- الـراغب الأصفهانى ، حسين بن محمد : المفردات فى غريب القرآن تحقيق محمد سيد كيلانى ـــ لبنان ـــ بيروت ـــ دار المعرفة .
- د . رضا ، فؤاد على : من علوم القرآن ـــ مكتبة مدبولى بالقاهرة ودار اقرأ بيروت ـــ ط ١ ـــ ١٩٨٢ / ١٤٠٢ .

- رضا ، محمد رشيد : تفسير المنار ــ بيروت ــ دار المعرفة .
- الزركشى ، محمد بن عبد الله : البرهان فى علوم القرآن ــ مصر ــ دار إحياء الكتب العربية ــ ط ١ ــ ١٣٧٧ / ١٩٥٨ .
- الزمخشرى ، محمود بن عمر : الكشاف عن حقائق التنزيل ، وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل ــ دار الفكر ــ ط ١ ــ ١٣٩٧ / ١٩٧٧ .
- د . سلطان ، منير : إعجاز القرآن بين المعتزلة والأشاعرة ــ مصر ــ مركز الدلتا للطباعة ــ ١٩٨٦ .
- سيبويه ، عمرو بن عثمان : الكتاب ــ مصر ــ دار القلم ــ ١٣٨٥ / ١٩٦٦ وما بعدها.
- السيوطى ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر : الإتقان فى علوم القرآن ــ مصر ــ المطبعة الموسوية ــ ١٢٨٧ .

  : معترك الأقران فى إعجاز القران ــ مصر ــ دار الثقافة العربية للطباعة ــ ١٩٦٩.
- د . شحاتة ، عبد الله محمد : علوم القرآن والتفسير ــ الهيئة المصرية العامة للكتاب ــ سلسلة المكتبة الثقافية ــ العدد ٣١٦ ــ ١٩٧٥ .
- د . شرف الدين ، صالحة عبد الحكيم : القرآن الحكيم ــ مطابع كويت تايمز ــ رجب ١٤٠٤ / أبريل ١٩٨٤ .
- د . شهبة (أبو) ، محمد محمد : المدخل لدراسة القرآن الكريم ــ مصر ــ دار اللواء ــ ط ٢ .

- الشـوكانى ، محمـد بـن على : فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدرايـة مـن عـلم التفسير ـــ دار الفكر ـــ ط ٣ ـــ ١٩٧٣ / ١٣٩٣ .
- الطبرسـى ، الفضـل بن الحسن : مجمع البيان فى تفسير القرآن ـــ لبنان ـــ بيروت ـــ دار إحياء التراث العربى .
- الطـبرى ، محمد بن جعفر : جامع البيان عن تأويل القرآن ـــ لبنان ـــ بيروت ـــ دار الفكر ـــ ط ٤ ـــ ١٤٠٠ / ١٩٨٠ .
- الطوسـى ، محمـد بن الحسن : تفسير البيان ـــ العراق ـــ النجف الأشرف ـــ مكتبة الأمين .
- عـبد الحميد ، محسن : الآلوسى مفسرا ـــ بغداد ـــ مطبعة المعارف ـــ ١٣٨٨ / ١٩٦٩ .

  : الـرازى مفسرا ـــ بغداد ـــ دار الحميدية للطباعة ـــ ١٣٩٤/ ١٩٧٤ .
- د . عـبد الـرحمن ، عائشة : الإعجاز البيانى للقرآن ومسائل ابن الأزرق ـــ مصر ـــ دار المعارف ـــ ١٩٧١ .
- عبده ، محمد : تفسير جزء عم .
- عبيدة (أبو) معمر بن المثنى : مجاز القرآن ـــ القاهرة ـــ طبع محمد الخانجى ـــ ١٩٥٤ .
- العربى (ابن) ، أبو بكر محمد بن عبد الله : أحكام القرآن .
- العسكرى ، أبو هلال الحسن بن عبد الله : الفروق .
- عطية (ابن) ، عبد الحق بن غالب : المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز ـــ طبع على نفقة سمو أمير دولة قطر .

- د . العمـــرى ، أحمد جمال : مباحث فى إعجاز القرآن ــ مصر ــ نشر مكتبة الشباب ــ ١٩٨٠ .
- الفـــراهى ، المعلم عبد الحميد : إمعان فى أقسام القرآن ــ الهند ــ على كره ــ المطبعة الأحمدية ــ ١٣٢٩ .
- الفـــراء ، يحـــيى بـــن زياد : معانى القرآن ــ الدار المصرية للتأليف والترجمة .
- القاضـــى ، عـــبد الفـــتاح : من علوم القرآن ــ منشورات مكتبة الكليات الأزهرية ــ ط ٢ ــ ١٣٩٦ / ١٩٧٦ .
- قتيـــبة (ابن) ، عبد الله بن مسلم : تأويل مشكل القرآن ــ مصر ــ دار إحياء الكتب العربية ــ ١٣٧٣ / ١٩٥٤ .

  : تفسير غريب القرآن ــ مصر ــ دار إحياء الكتب العربيـــة ــ ١٣٧٨ / ١٩٥٨.
- القـــرطبى ، محمد بن أحمد : الجامع لأحكام القرآن ــ مصر ــ دار الكتب المصرية .
- القطان ، مناع : مباحث فى علوم القرآن ــ مؤسســـــة الرسالة ــ ط ٤ ــ ١٣٩٦ / ١٩٧٦ .
- قمحـــاوى ، محمـــد الصادق : الإعجاز والبيان فى علوم القرآن ــ القاهرة ــ مكتبة عالم الفكر ــ ١٩٨٠ .
- القـــيم (ابـــن) ، محمد بن أبى بكر : التبيان فى أقسام القرآن ــ الرياض ــ المؤسسة السعيدية .
- كثير (ابن) ، أبو الفدا إسماعيل بن عمر : تفسير القرآن العظيم ــ بيروت ــ دار المعرفة ــ ١٣٨٨ / ١٩٦٩ .

- د . الكـــردانى ، أحمـــد عـــبد السلام : نماذج من الإعجاز العلمى للقرآن ــ مصر ــ مطابع الشعب ــ ١٩٧٢ .
- د . موسى ، حسن محمد : بيان المشتبه من معانى القرآن الكريم ــ مصر ــ ربيع الأول ١٣٧٦ ــ أكتوبر ١٩٥٦ .
- النيسابورى : غرائب القرآن ورغائب الفرقان .
- هشـــام (ابن) ، جمال الدين عبد الله بن يوسف : مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب ــ تحقيق د . مازن المبارك ــ ط ١ .

فهرس

فهرس

فهرس

فهرس

رقم الإيداع	٢٠٠٠/١٩٢٤٦
الترقيم الدولي	977 / 341 / 015 / 3